

رشيحات قلم . . . !

في خريف عام ١٩٦٨ التحق ولدي « خالد » بالجامعة الأمريكية في بيروت ، فعنّ لي أن أوجه إليه « رسائل » هي في الواقع « خطاب » لكل طالب عربي أننى كانت إقامته ، إذ أنظر لكل شاب عربي نظرتى إلى وحيدى « خالد » ، وأتمنى له ما أتمناه لولدى من الخير والغنى !

وهذه « الرسائل » الملونة .. المتنوعة .. التى أرفها لكل طالب عربي تكمل سلسلة « الرسائل » التى سبقتها بأقلام جهابذة أعلام أمثال :

١ - الخليفة عمر بن الخطاب . وقد وجه رسائله إلى ابنه « عبد الله » حين خرج مغترباً غربة قصيرة .

٢ - الإمام على بن أبى طالب ، وقد كتب لولده « الحسن » ناصحاً وموصياً ومذكراً ، ولم يخص فى إحدى رسائله ولده « الحسن » وحده ، بل خص بها كذلك ابنه « محمد بن الحنفية » .

٣ - خالد بن صفوان المنقدى ، جليس عمر بن عبد العزيز وهشام ، وقد كتب إلى ولده ناصحاً .

٤ - المهلب بن أبى صفرة ، وقد كتب إلى أبنائه رسائل طواها على النصيح والتوجيه .

٥ - عبد الملك بن صالح بن على العباسى ، من زعماء العباسيين ، وقد كتب إلى ولده ناصحاً .

٦ - موسى بن سعيد وقد وجه رسالة نثرية وأخرى شعرية إلى ولده
على بن سعيد (وهما في الأندلس) .

ومن الآباء المعاصرين الذين كتبوا رسائل إلى بنينهم وحزموها
في كتب مستقلة خرجت للنور :

- ١ - جرجي زيدان إلى ولده « إميل » .
- ٢ - حافظ عوض إلى ولده « جلال الدين » .
- ٣ - أحمد أمين إلى ولده « محمد » .
- ٤ - الدكتور محمد حسين هيكل إلى ولده « أحمد »
- ٥ - خليل السكاكيني إلى ولده « سري »
- ٦ - إسماعيل مظهر إلى ولده « جلال »
- ٧ - بولس سلامة إلى حفيده « فادي »
- ٨ - محمد فاضل الجمالي إلى ولده « عباس »
- ٩ - شكري شعشاعة إلى ولده « نزار »

ورجائي أن يقتبس كل طالب عربي من هذه «الرسائل» الملونة ..
المنوعة .. «عظات» قد تفيده في حياته العملية و«دروساً» قد تفضي
به إلى مستقبل حافل بالطمأنينة وهدأة البال ، و«عبراً» قد تجنبه مزالق
الحياة وتدفع عنه عثرات الزمان !

والله من وراء القصد !

عمان - الأردن

البدوي الملم

يا ولدى !

با ولدى ! والكون فى كفه فابسم لنا يا ولدى بسم
وعش لنا أمنية عذبة وانعم وغرد واتهج واسلم
« أنور العطار »



خالد العودات

غادرتني إلى بيروت للالتحاق بالجامعة الأمريكية شفاء لطموحك ،
 وتحقيقاً لأهدافك ، فوثب قلبي من موضعه ، ولزمني القلق لبعذك
 عني ، ولحرمانى حديثك الطلى ، ونحن جلوساً حول المائدة ، ورأيتك
 في الناس ونظرتك إلى الحياة !

لكنني تحاملت على ضلعي عندما تذكرت أنك طالب علياء ،
 ونخاطب مجده ، ودعوت الله أن يحقق أمانتي فيك ويريني إياك رجلاً له
 وزنه في هذه الحياة !

هذه الكلمة هي باكورة « رسائل » أخصك بها وأوجهها إليك
 كلما خطر لي نصحك ومجاذبتك حبل التراسل لما فيه خيرك ونفعك !
 فأستودعك الله وأودعك - إلى حين - بقول « موسى بن سعيد المغربي »
 الشاعر الأديب الكبير عندما خرج ابنه « علي » مغترباً ، فودعه بقصيدة
 مشهورة قال فيها :

أودعك الرحمن في غربتك	مرتقباً رحاه في أوبتك
وما اختياري كان طوع النوى	لكنني أجرى على بغيتك
فلا تطل حبل النوى إنني	والله أشتاق إلى طلعتك !

٢

كانت باكورة رسائل إليك يا « خالد » الرسالة التي وجهتها إلى أخي
الشاعرا المنهجري الكبير الأستاذ ميشيل مغربي (نزيل سان باولو -
البرازيل) وأنت في المرحلة الابتدائية ، وفيها صورت « الصراع »
المحب لنفسك ولنفسى ونحن نلعب الشطرنج !
وللعظة التي توخيتها في خاتمة هذه الرسالة عن لي إثباتها في الحيز
التالى :

« سألتني أخي النازح الغريب الشاعر ميشيل مغربي : عما أصنف
في هذه الأيام ، وسألتني عن أمتع ساعات يومى .. ! وزاد على تساؤله
قوله :

هل أمتع ساعات يومك الساعة التي تشرب فيها قهوة الصباح مع
قرينتك ؟ أو أن أمتعها ، الساعة التي ترى فيها أولادك ذاهبين آثبين
بين الدار والمدرسة ؟

أو أن أمتعها تلك الساعة التي تراهم مقبلين على دروسهم ، موفقين
في صفوفهم ؟ » .

الواقع يا أخي أن الساعات التي ذكرتها حية في نفسى ، ولكن أمتعها
الساعة التي أجلس فيها إلى وحيدى « خالد » لنلعب الشطرنج ، فأقسوا
عليه تارة ، وأرأف به أخرى !

وعندما يأخذ اللعب طريق الخد : وتقرب نهاية « الدق » أسرف
في مداعبة « خالد » بكلمات تثير مشاعره... !

وأجمل ما أوردته في لعبي ، فيستثير ضحكي ، ويبعث الانفعال
في نفس « خالد » « الرحمت » التي أخص بها « الشاه » الدائخ ،
وتعدد حسناته ... ومآتيه ... في حياته !

وهنا يستشيط « خالد » غيظاً ويقول لي بلهجة الطفولة البرئية :
« بلاش مسخرة يا بابا ! » غداً سأكبر ، وأغدو شاباً ، صلب العود ،
مفتول العضل !

أسمع هذا من « خالد » فأضحك ملء شدي ... وأوسع « الشاه »
تجريحاً وتشريحاً ، وينتهي « الدق » على غير رضا « خالد » ،
فيبارح طاولة اللعب ، إلى مقعده ، ويأخذني تهديدي بالغد المرتقب !
عندها أملاً جو الدار ضحكا .. وأقبل على ولدي معانقاً .. مخاطباً
بقولي : « غداً ستكبر يا " خالد " بإذن الله ، فيشتد ساعدك ، وتروى
لبنيك نوادرنا ودعاباتنا ، وتلهو معهم كما ألهو معك ! »

فيضحك « خالد » ضحك الواصل من نفسه ... وتشيع الغبطة
في قسبات وجهه ، ويعود إلى هز ساعده ويقول لي :
« غداً سترى يا أبت العجائب ! »

غداً سيشتد هذا الزند فأردى " شاهك " ، وأترحم عليه كما ترحم
على " شاهي " ، وأرثيه بالعبارات التي ترثي بها ، " شاهي " المسكين ! .

هذه هي أمتع ساعات يومى يا «أبا الحافظ» (١). وأتمنى على الله أن أظل غارقاً فى هذه المتعة . متعة صراعى مع «خالد» فى الشطرنج ، ليأخذ «درساً» قاسياً فى مصارعة الحياة ويقبس «عظات» فى التعويل على ساعده اللدن اليوم .. والمفتول غداً بإذن الله !

٣

النصائح التى أسديكها هى حصيلة التجارب التى مررت بها خلال سنى عمرى ، وإذا ما وجهت إليك بعض ما يخطر منها فى البال ، فهدنى تزويدك بالحكمة . وإضاءة طريقك ، لتتفادى الجادة الشائكة ، ولتسلك السبيل القويم ، ولتفرق الخيط الأبيض من الخيط الأسود !
صدقنى يا «خالد» أن نصيحة يقدمها لك شيخ عركته التجاريب عرك الرعى ... هى فى نظرى خير من ألف شهادة وألف «دكتوراه» !

فدعنى أتحدث إليك بما يخطر فى البال ... وكأننى أتحدث إلى جيلك العربى الصاعد !
والناس يا بنى «أحاديث» ... فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل ... ولست بنادم !

(١) «أبو الحافظ» كنية الشاعر الأستاذ مغربى .

هدنى من دراستك الجامعية إبعادك عن « الوظيفة » وتسليحك بشهادة
 مهنية تغنيك عن العمل الحكومى الذى بلاه والدك حوالى أربعين سنة !
 فالوظيفة يا ولدى رزقها محدود ... فى حين أن العمل الحر بحر واسع
 لا قرار له ، وإذا شئت حياة كريمة لك ولأسرتك القادمة ، فابدل من
 الجهد ما يوفر لك عيشاً كريماً ، ومهنة حرة تعول عليها فى مستقبلك !
 الموظف يا « خالد » « طفيلى » يعيش على فتات الموائد ، ومورده
 محدود ، ورزقه مكدود ، فاهرب من (الوظيفة) هربك من الأسد ...
 واذكر كلمة عمر بن الخطاب :

« حرفة يعاش بها خير من سؤال الناس ! »

وترحم معى على فقيد أدبنا المعاصر مارون عبود القاتل من قصيدة
 بعنوان « الوظيفة » :

فكم كانت على الأوطان حرباً وغير الشعب ما التهمت لظاها |

٥

تعلم يا ولدى أن جدك والدى كان يطمع بأن يرانى « طيباً » ، وقبل أن يلحق بربه أوصى شقيقه بأن ينفقاً سهمه من الثروة على تعلمى « الطب » ومات . رحمه الله . وهذه أمنية !

ولكن أخويه . غفر الله لهما . ضربا بوصية جدك عرض الحائط . . . وكل ما أرجوه يا ولدى أن تحقق أمنية جدك ، فتتعلم تعلماً جامعياً ، ولك ملء الخيار فى المهنة التى تستسيغها ، والله محقق فىك أمانى جدك ، ودعوات والدك !

٦

لحظت أن الجامعة الأمريكية تغص بالطلبة من كل جنس ووطن . . . والذى أود أن أقوله لك أنك تعيش فى حاضرك بين خليط من الناس . . . ولذا أرجو أن تكون حذراً فى اختيار الأصحاب . . . وعليك أن تبتعد عن كل « لعب » من زملاء الدراسة . وإن شاباً مثلك فى وسعه أن يحسن اختيار الأصحاب ، من صفوة الطلاب . ويفتش عن الزميل المجد فى دراسته ، لأن عليك واجباً نحو أمتك ووطنك ، ووالديك وأخواتك !

وأخيراً أقول لك ما قال النبى العربى الكريم فى معاوية بن أبى سفيان : « اللهم علمه الكتاب والحساب . وقه العذاب ! »

٧

بانتقالك يا « خالد » إلى البحر الجامعي في بيروت ستواجه بيئة جديدة بعيدة عن البيئة المحافظة التي عشتها في الأردن . وستلاقى « وجوها » غير « الوجوه » التي عرفتها في مسقط رأسك !
وبرغم هذا التباين في البيئة وقسمات الوجوه أوصيك يا بني بالحفاظ على تقاليدنا الموروثة ، وتجنب ما قد ينسبك درسك ، ويجرك إلى بعض المزالق لا سمح الله !

وإن لي من تربيتك البيئية ، وترفعك عن المبادل ، ما يؤكد لي أنك ستحقق الغاية المرجوة التي في سبيلها تغربت ، وستعود إلينا بإذن الله حاملاً الشهادة الجامعية التي ستؤمن لك مستقبلاً باهراً ، وتوفر لك عيشاً زاهراً ، واذكر يا ولدي قول لقمان لابنه :
« إياك والكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق ! »

٨

قرأت اليوم مقالا نفسياً بقلم صديقي الدكتور أحمد فؤاد الأهواني بعنوان « بماذا أنصح الناشئة ؟ » وحرصاً مني على تزويدك بالنصائح القيمة

التي ساقها الدكتور الأهواني للنشء الصاعد أنقل إليك المنقطع التالى :

« كانت الناشئة فى العصور القديمة تعتمد على الحسب أو الثروة أو المنزلة والسلطان ، وهذه الثلاثة سند الحياة الرغدة الخائنة . أما اليوم بعد انتشار التعليم وتطلع الفرد إلى الحياة الديمقراطية ، فلم يعد للحسب أو المنزلة أو الثروة الموروثة سلطة كبيرة يستند إليها طالب العيش . ولم يبق أمامه سوى الاعتماد على النفس . والنزول إلى معترك الحياة ، والجد فى كسب المعاش ، ولما كانت الظروف متغيرة . بل سريعة التغير فلا بد له أن يكون على استعداد للتكيف مع هذه الظروف . لقد ضاقت الأرض بمن عليها ، وأصبح من اللازم استغلال كل قطعة من الأرض ، وابتكار وسائل جديدة للتنمية والزراعة . حتى لا يفضى نقص الأغذية إلى كوارث ومجاعات . وخير سبيل فى هذه المرحلة هو الاعتماد على النفس ، وإعداد العدة لذلك ، وأخذ الأهبة والتوسل بالأسباب الموصلة إلى هذا الاعتماد .

ومن جملة هذه الوسائل ما يتبع الآن فى الدول الغربية من تعلم الناشئة المبادئ الأساسية العملية للعمران من نجارة وحدادة وبناء وزراعة وغير ذلك .

فأنت لن تجد شخصاً فى العالم الغربى يجهل هذه الأوليات الضرورية! » وينهى الدكتور الأهواني مقاله القيم بقوله :

« إن العصر الذى نعيش فيه يعد بحق عصر العلم ، ونعنى بالعلم ملاحظة الظواهر الطبيعية ملاحظة دقيقة موضوعية واقعية ، ومعرفة

القوانين العامة التي تخضع لها هذه الظواهر : وقد استطاع الإنسان أن يكشف خصائص المادة ويدرك أنها مركبة من ذرات ، ثم ينتج المادة بتركيب جديد !

ولا يستطيع أى فرد فى العصر الحاضر أن يعيش دون مساهرة ركب العلم ، ودون أن يتعلم كثيراً من المبادئ الرياضية والطبيعية التى تعد اليوم من قبيل الأوليات حتى يتمكن من استعمال الآلات والأدوات الحديثة المستخدمة فى مختلف مجالات الحياة .

فالعالم زينة للمرء ، وحلية للأمة ! «

حقاً يا « خالد » إنها لنصائح نفيسة جدية بالتأمل ، ولا أشك فى أنك ستحلها المحل الأرفع من نفسك !

٩

منذ زمن بعيد وأنا أرقب يا « خالد » كيف انحرف بعض طلابنا فى جامعات الشرق الأدنى عن محجة الصواب ، وكيف انغمس فريق منهم فى الحزبيات والعنتريات ... وحملوا شعارات « مستوردة » ... وكانت حصيلة الحزبيات التى اعتنقوها ونادوا بها . . . وهتفوا لها . . . رسوبهم فى صفوفهم وطردهم من الجامعات التى التحقوا بها !

كل ما أرجوه يا ولدى الاعتصام بحبل الله والعكوف على الدرس والابتعاد عن الحزبيات والمبادئ « المستوردة » ! ومنى تقبلت نصيحى ،

وأخذت برأى . حققت مستقبلاً زاهراً بإذن الله !
وأمل أن تكون سيفى الذى لا ينبو . وسهمى الذى لا يطيش !

١٠

ليست رسالة اليوم من مقول . بل هى من منقول عبد الله بن الحسن
لابنه محمد حين أراد الاستخفاء :

« أى بنى ! إني مؤد إليك حق الله فى حسن تأديبك ، فأدّ إلى حق
الله فى حق الاستماع !

أى بنى ! كف الأذى . وارفض البذا . واستعن على الكلام بطول
الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى القول . فإن للقول ساعات
يضر فيها خطؤه . ولا ينفع صوابه !

احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل
إذا كان غاشياً ، فإنه يوشك أن يورطك بمشورته ، فيسبق إليك مكر
العاقل وتوريط الجاهل ! »

واسمح لى يا ولدى بأن أجمل هذه الرسالة بعظة ساقها لقمان لابنه :
« ازحم العلماء بركبتيك ، ولا تجادلهم ، ولا تجالس السفیه ، ولا تخالط
ذا الوجهين ألبته ! »

تحدثت إليك في شئون شتى لتأخذ حذرَكَ منها : والساعة يحلوني
تحذيرَكَ من مغبة التدخين الذي لم أعرف سبيله طيلة السنوات التي
عشتها ، ولم يعرفه والدي من قبلي ، وعهدى بك أنك مدرك فوائد
كل شيء ومضاره ، لأنك حكيم بعيد النظر ، تزن الأمور بميزان دقيق
حساس ، وتنظر إليها نظرة فاحص خبير !

ولكم سمعتك تذم التدخين ، وتشجب إقبال أبناء هذا الجيل عليه
وتشفق على زملائك في الدراسة الذين انغمسوا فيه منذ كانوا طلاباً
في الصفوف الأولية !

ومع إيماني بقوة إرادتك ، وتصميمك على مقتته ، والنفور مما يؤدي
صحتك ويخرق جيبك ، على أن أحذرك من رفاق السوء في الجامعة الذين
ربما يسرفون في إغرائك بسيجارة ... تقفوها سيجارة ... تلحقها أخرى
وهنا يصح فينا المثل العامي « أول الرقص حنجلة ! »

وكما أحذرك من التدخين أعود إلى تحذيركَ من إخوان السوء الذين
لا يبالون بصدورهم وجيوبهم سواء أكانت عامرة أم نظيفة !

نشرت صحف هذا الصباح النبأ التالي :

« دلت الفحوص التي قام بها الخبراء على أن التدخين يسبب مرض
السرطان الرئوي ، ويترك على صدور المدمنين على التدخين طبقة من

الزفت ... تماماً كالزفت الذى تفرش به الطرقات . وإن بلعوم المدخن يشبه
مدخنة سوداء كمدخن الأقران ... من جراء التدخين ! »
بعد هذا القول أرجو ألا تستسلم لمغريات إخوان السوء ، وابق كما
عهدتك صلب الإرادة . نظيف الصدر ، صامداً على قول « كلا »
لزملائك الذين لا يقدرّون مصابير الأمور !
فاحذروهم ولا تستخذ لمغرياتهم فإنهم قوم أغرار جاهلون !

١٢

تعرف السبب الذى حملنى يا « خالد » على الاغتراب وأنا فى مثل
هذه السن وليس « سرا » أن أقول إنه من أجلك ، وفى سبيل تسليحك
بشهادة جامعية كبرى !
وإذا كنت يا ولدى قد ضحيت بالسنوات المتبقية من عمرى فى
سبيلك ، ونأيت عن والدتك وشقيقاتك لأؤمن لك مستقبلاً زاهراً ،
فغاية ما أرجو أن تقدر هذه « التضحية » ، وتولى الدراسة الجدية كل
همك ، لتؤمن الغاية النبيلة التى من أجلها قصدت الجامعة الأمريكية
لتغدو رجلاً نافعاً لأمتك ، ومثقفاً ينتفع الوطن بمواهبك !
وعلى أمل أن أراك كما أشهى وأروم أذكر لك أن الحكيم الرومانى
شيشرون سئل يوماً عن أعظم عوامل النجاح فقال :
« أعظمها ثلاثة : أولها المثابرة ، وثانيها المثابرة ، وثالثها المثابرة ! »

١٣

عهدي بك يا « خالد » ذواقة في اختيار الأصدقاء ، وسبر أغوار
الناس وطبائعهم ، وأملى أن يتضاعف ذوقك هذا ، فتحسن مصاحبة
الأخيار ، والهرب من الأشرار ، لأن في هذا الدستور راحة لك ،
وعزاء لضميرك ، وضماناً لمستقبلك !

صدقني يا ولدي أني لم أملك ثروة في حياتي تعدل رصيدي الذي
أعتر به ، وهو صفوة أصدقائي الذين محضتهم ودي ، وعرفت كيف
أختارهم لعوادي الأيام ، إيماناً مني بالحكمة القائلة : « الأصدقاء المثاليون
هم النقد الصحيح في بورصة الحياة ! »

أضف يا « خالد » إلى ما أسلفت رغبتني في أن تجامل الناس
وتصانعهم في الكثير من الأمور ، وحسبي أن أنهي رسالتي إليك
بالحديث الشريف القائل : « رأس العقل ، بعد الإيمان بالله ، التودد
إلى الناس ! »

١٤

وقفت أمس أمام نبأ طريف نشرته مجلة « العربي » الكويتية ،
والساعة أود أن أطلعك عليه لتشاركني روعة المغزى السامي ، ولتري

أن الصرامة في بعض الأحيان تعطي أكلا شهييا . وتنشئ الصبي تنشئة راسخة وتخلق منه رجلا صالحاً .

جاس الأمير جورج ولى عهد بريطانيا الأسبق (الملك جورج السادس فيما بعد) وكان طفلا صغيراً لا يتجاوز العام التاسع من عمره وكتب رسالة إلى أمه الملكة ماري قال فيها :

« لقد رأيت بالأمس يا أمي سيارة صغيرة ثمنها خمسة جنيهات ، وأريد أن أشتريها ، لذا أرجوك أن تعطيني هذا المبلغ ! »

قرأت الملكة الرسالة فجلست ترد عليها برسالة أخرى قالت فيها :

« ابني جورج !

أنت ولد متلاف – فلدريك غرفة كاملة مكتظة بالألعاب ، يجب أن تعرف قيمة المال ، فقد تصبح ملكاً عظيماً في يوم من الأيام ، وأنا لا أريد أن أراك ملكاً مسرفاً متلافاً ! » .

أقف عند هذا الحد يا « خالد » لإيماني بأنك شاب موزون في تفكيرك وأعمالك ، لا تقدم على اجترار عمل لا تراه ضرورياً ، وهذه الظاهرة عرفتُها فيك منذ كنت طفلاً ، وقد سلكت طريق الواقع والحكمة والاتزان .

يعزرو أكثر الناس سوء حظهم إلى فسوة الدهر وتجهم الأيام
 في وجوههم . لكنى أخالفهم فيما ذهبوا إليه ، إذ لو أنهم جدوا في
 أعمالهم . وصفوا نياتهم لحققوا الغاية ، وركزوا الراية !
 ولناخذ القراشة والنملة مثلاً لنجد الفرق بينهما واسعاً ، فالأولى جهدها
 مشتت . والثانية جهدها مركز !

والأديب الأصيل عبد الله بن المقفع (٧٢٤ - ٧٥٩) نصحننا
 بقوله :

« إذا تراكت عليك الأعمال فلا تلتمس الروح في مدافعها بالروغان
 منها . فإنه لا راحة لك إلا في إصدارها . وإن الصبر عليها يخففها عنك ،
 والضجر منها يراكمها عليك ! »

واسمع يا « خالد » قصص هؤلاء المجدين المثابرين :

- أبو الفرج الأصبهاني ، أمضى خمسين سنة في تصنيف كتابه « الأغاني » .
- ابن بطوطة نشر كتابه « تحفة النظار في غرائب الأمصار » بعد أربعة
 وعشرين عاماً قضاها مطوفاً في أقطار شتى .
- الفيلسوف ابن رشد قضى حياته في القراءة والبحث والتحقيق ولم
 يكف عن هذه المهوية إلا في ليلتين : ليلة زفافه وليلة وفاته .
- القاص الأمريكي ناثينال هوثرورن أمضى اثني عشر عاماً في تصنيف

مجموعة قصصه الأولى .

● المؤرخ الإنجليزي إدوارد جيبون أمضى عشرين عاماً في وضع كتابه « سقوط الدولة الرومانية » .

● نواه وبستر العالم اللغوي الأمريكي وصاحب المعجم الشهير المعروف باسمه أمضى ستة وثلاثين عاماً في جمع الكلمات والبحث عن أصولها ومشتقاتها حتى فرغ من معجمه .

● المخترع الأسكتلندي جيمس واٹ قضى ثلاثين عاماً في تطوير آلة البخارية .

● أبوك كاتب هذه السطور أمضى ثلاث سنوات ونصف السنة في تصنيف موسوعته المهجرية « الناطقون بالضاد في أميركا الجنوبية » .
وسنة في نقل فصولها بخط يده . وثلاثة أشهر في ترتيب فهرسها الأبجدية .

ولولا تصميم هؤلاء العصاميين ومثابرتهم لظلت هذه الآثار التي ابتدعوها نسياً منسياً .

وأملى بك يا ولدى أن تجد وتثابر وتسلق جبال المصاعب لتبلغ شأواً بعيداً في دنيا الجهد ومعارج الكمال بإذن الله .

١٦

كثير من مدارس هذا العصر تنتكر للدين . ولا تدعو إلى الاعتصام
بجبل الله . زعماء من القائلين على شئونها وتصريف أمورها أن الدين شيء
رث قديم لا ينسجم ومذنية العصر الحاضر !

وكل ما أرجوه يا بنى أن تؤمن من قرارة نفسك بوجود إله واحد
خلق السموات والأرض . وأقام لهذا الكون العجيب نظاماً دقيقاً كعقارب
الساعة . وأملى يا « خالد » أن تصلى لله قبل أن تلوذ بمخدحك . وعندما
تستيقظ . وتسأله الرحمة بعباده . وتردد مع (تاغور) قوله :
يا رب !

علمنى أن أحب الناس كما أحب نفسي . علمنى أن أحاسب
نفسى كما أحاسب الناس . وعلمنى أن التسامح هو أكبر مراتب القوة :
وأن حب الانتقام هو أدل مظاهر الضعف !
يا رب !

لا تجعلنى جزاراً يذبح الخراف . ولا شاة يذبحها الجزارون . وإذا
أسأت إلى الناس فأعطنى شجاعة الاعتذار . وإذا أساء الناس إلى فأعطنى
شجاعة العفو !
يا رب !

ساعدنى على أن أقول كلمة الحق في وجه الأقوياء . وألا أقول

الباطل لأكسب تصفيق الضعفاء . وأن أرى الوجه الآخر من الصورة .
ولا تتركني أنهم خصومي بأنهم خونة . لأنهم اختلفوا معي في الرأي !
وإذا أعطيتني مالا فلا تأخذ سعادتني . وإذا أعطيتني قوة فلا تأخذ
عقلي . وإذا أعطيتني تواضعاً فلا تأخذ اعترازي بكرامتي !
يارب !

لا تدعني أصب بالغرور إذا نجحت . ولا باليأس إذا أخفقت
بل ذكرني دائماً بأن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح !
وإذا نسيتك يارب فلا تنسني من عفوك وعطفك وحلمك .
فأنت العظيم القهار القادر على كل شيء ! »

ولا تنس أن تردد قول السيد المسيح وتعمل به :
«... وأما أنت فمضى صليت فادخل إلى مخدعك . وأغلق بابك . وصل
إلى أبيك الذي في الخفاء ، فأبوك الذي في الخفاء يجازيك علانية ،
وحيثما تصلون لا تكرر الكلام باطلاً كالأمم . فإنهم يظنون أنه بكثرة
الكلام يستجاب لهم . فلا تشبهوا بهم . لأن أباكم السماوي يعرف
ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه ! »

ألمح في هذا العصر صراعاً عنيفاً بين العلم والدين ، والإنسان هو
الباعث على هذا الصراع !

فطوراً يجذب العلم الإنسان إلى رحابه . فيكفر بالدين . وطوراً
يجذبه الدين إلى محرابه . فيقبل عليه ويتفاعل معه !

ومادمنّا في الحديث عن هذا الصراع المتواصل فلنلق نظرة أوسع شمولاً !
يقبل الإنسان على العلم فيبتدع الأفانين . فإذا استغل هذه المخترعات
للخير كانت خيراً على الإنسانية . وإذا وجهها نحو الشر كانت وبالاً
على العالم أجمع ! فالذرة مثلاً تحمل في طياتها البركات متى استغلها
الإنسان لخير الإنسانية . وتحمل في طياتها الدمار متى شاء الإنسان
تدمير الإنسانية !

والآليات فيها العمران والبناء متى شاء الإنسان العمران والبناء
للبشرية . وفيها الدمار والشقاء متى شاء الإنسان دمار البشرية !
وفي يقيني أن هذا الصراع الشديد لا ينهي إلا الدين . فهو يستثير
في الإنسان ضميره . ويزجره عن اجتراح الجرائم . فيقف حائلاً دون
امتداد الشر !

ومن هنا تدرك يا « خالد » أن للدين أثراً بعيداً في النفوس . فاعتصم
بجيله ، واذكر ربك أنتى قصدت ويممت !

١٨

تعرف أكثر من غيرك مدى إعجابي وتقديري لكل عصامي أيّاً كان
لونه ودينه وعنصره ، وتذكر أحاديثي إليك عن كل عصامي درج
على بسيطنا العربي ، أو وقفت على سيرته في الكتب والصحف .

واليوم وقفت متأخراً مباهياً بيدوى أمى جاء بالعجائب . وحقق المعجزات فى منهبط الوحي !

ويخلو لى الساعة أن تقاسمى المدة فى قصة كفاح هذا الأمى السعودى . ومدى النجاح الذى حققه . ففيها النكهة .. وفيها الطرافة ... وفيها العظة :

فى عام ١٩٣٨ عرف الناس فى جدة بالسعودية عامل بناء بسيطاً اسمه محمد بن لادن . لا يقرأ ولا يكتب . يتقاضى أجراً يومياً مقداره ريال واحد . ثم عرفوه مقاولاً صغيراً للأعمال الصغيرة . وسرعان ما أصبح مقاولاً للأعمال الثانوية للطريق الذى شقه بين جدة ومكة . وحفر خنادق المواسير لماء المياه من وادى فاطمة إلى جدة . ثم عين هذا المعمارى البسيط مقاولاً لدى شركة « أرامكو » فى الظهران شرق السعودية فكان مثالا للوفاء بالتزاماته . والصدق فى معاملاته !

وفى الظهران تعرف عليه الشيخ عبد الله السليمان (وزير مالية السعودية آنذاك) فأعجب به . وكلفه العمل فى بناء القصر الملكى بمدينة الحرج . قرب الرياض . ثم بناء القصر الملكى فى جدة . وفى هذه الأثناء تعرف الملك عبد العزيز آل سعود على هذا المعلم البسيط . فأعجب بنشاطه واستقامته . وبذكائه المفرط وتقديره لمسئوليته ؛ وهنا سطع نجمه . وذاع صيته . وأصبح موضع تقدير المسؤولين فى السعودية .

وثمة شخص كبير . هو الملك فيصل آل سعود ، شجع هذا العصى

على استكمال أجهزته الفنية وآلياته وتنظيمها تنظيمًا علميًا دقيقاً .

وما استكمل ابن لادن كل هذه العناصر عهد إليه الملك فيصل في المشاريع الكبيرة والصغيرة . وكنفته السلطات السعودية القيام بالأعمال الخامة . كبناء الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة . والحرم المكي الشريف . وقبة الصخرة المشرفة بالمسجد الأقصى في بيت المقدس . وطريق جدة - المدينة المنورة . وطريق مكة المكرمة الطائف . ولم يقتصر في أعماله على هذه المشاريع العظيمة بل تجاوزها إلى إنشاء المطارات والمساجد والمدارس والمنشآت الخامة !

قلت لك يا « خالد » : إن ابن لادن كان أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة إلا أنه كان متفتح الذهن . عميق التفكير . واسع الاطلاع . يتحدث في أهم الموضوعات السياسية والاقتصادية . وله آراء حكيمة . يعجز المهندسون وأهل الفن عن مناقشته في اختصاصاتهم !

وفي ٧ آب (أغسطس) ١٩٦٧ توفي هذا العصامي البطل في حادث سقوط طائرته الخاصة . مخلفاً وراءه مؤسسة كبيرة للأعمال الإنشائية . وغدت معداتها أكبر معدات يملكها فرد واحد في العالم . وثلاثة شركة للطرق في العالم . وقد بناها هذا العصامي الأمي بعزمه وجده ورجولته !

هل سمعت قصة أروع من قصة هذا البدوي الأمي ؟ ! لقد صدق الكاتب الإنكليزي القدير « هيكتر بوليتو » في مقاله الرائع . سر الصحراء : « إن لصحراء العرب سرًا قدسيًا غريباً . تنفح به فئة من رجالها اللوامع ، ونجومها السواض ! »

منذ أصبحت واعياً يا «خالد» وأنا أسوق إليك قصص العصاميين
الواحدة تلو الأخرى ، وأروى لك أدوار البطولة التي اضطلعوا بها ،
حتى صنعوا المعجزات وأحالوا فقرهم ثراء ، وضيقهم رخاء . وظلامهم ضياء !
واليوم نخلو لى أن أطالعك بوجه إغريقى كان فى العشرينات عاملاً
معدماً . لكنه ارتفع من التراب إلى السحاب ، وأنزل الأرملة الحميلة
جاكلين كندى من عليائها واقترن بها !

وإليك ملاحظه فى كلمات :

● ولد أوناسيس هذا عام ١٩٠٦ . وهاجر إلى بونس آيرس عام ١٩٢٣
بثقافة بسيطة .

● حمل معه إلى الأرجنتين ستين دولاراً وعلى الرغم من أنه لم يكن
يتكلم الإسبانية حصل على وظيفة عامل تليفون فى الليل ، وتعاطى
فى النهار بيع التبغ !

● استورد هذا المغترب اليونانى تبغاً من اليونان قيمته نحو مليونى دولار ،
وقد ربح منها ١٠٠ ألف دولار ، وأصبح قنصلاً لبلاده فى بونس
آيرنس .

● شجعتة الثروة التى جمعها فى الأرجنتين على صنع الملابس الصوفية
والجلود المدبوغة .

● عندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره كان قد جمع أول مليون دولار .
وهو المليون الصعب الذى جر وراءه ملايين أخرى ، وأصبح يبيع
هذا العامل سبع لغات .

واليوم يملك العريس أوناسيس (والعافية لك) :

(أ) جزيرة سكوربيوس الخضراء . وقد اشتراها عام ١٩٥٣ بمبلغ
١٣٥ ألف جنيه إسترلينى .

(ب) كازينو مونت كارلو الذى اشتراه فى عام ١٩٥٠ .
إلا أنه اختلف مع الأمير رينيه فسحب الكثير من أمواله
من إمارة موناكو على الريفيرا .

(ح) شركة الخطوط الجوية الأولمبية « التى أسسها عام ١٩٥٧ ،
وأنفق عليها أكثر من ٥٠ مليون دولار .

(د) يختاً خاصاً به يعتبر من أفخم اليخوت فى العالم .

(هـ) ١٠٠ مليون جنيه إسترلينى . وهو اليوم واحد من أغنى أغنياء
العالم .

(و) أسطولاً من ناقلات الزيت .

بعد هذه اللمحات ألا يستحق هذا البطل الحلال الزواج
بالأمريكية الأولى المشهورة بجماتها ورقة أنوثتها ؟

٢٠

في رسالتين سابقتين حدثتك عن عصامي من السعودية ، وعن آخر من اليونان . ضرب كل منهما رقماً قياسيًّا في دنيا الأعمال ! والساعة أتحدث إليك عن عصامي فلسطيني عملاق صنع العجائب وأتى « بما لم تستطعه الأوائل ! »

أود أن أسمى لك هذا العصامي الجبار الذي أنبته ريف فلسطين . لكنه يؤثر الصمت في أعماله . ويمقت تسليط الأضواء عليه . ولكن لي من ذكائك وفطنتك ما يخسر اللثام عن هذا البطل الهماة !

- خلاصاً من تعسف الشيخ « خطيب القرية » وهرباً من جور عصاه . هجر صاحبنا « الكتاب » وعمل « فاعلاً » في بنايات القدس .
- في الأسبوع الأول من عمله كان أجره اليومي قرشاً ونصف القرش (بالعملة التركية) .

وفي الأسبوع الثاني بلغ أجره اليومي خمسة قروش .

وفي الأسبوع الثالث تقاضى أجراً يومياً مقداره عشرة قروش .

- وليوفر هذا الصبي الطموح عيشاً كريماً لوالديه وأهله اشترى جملاً

(وله من العمر اثنا عشر عاماً) وشرع ينقل الحجارة من مقالع

قريته إلى عمارات القدس . وسرعان ما حذق حرفة الدقاقة

« تحت الحجارة » لأنها أكثر دخلاً من نقل الحجارة .

- في عام ١٩١١ لقي صاحبنا مهاجراً من رام الله عائداً من الولايات المتحدة لزيارة ذويه . واستطلعه أنباء الأرباح التي يجنيها المغترب ، فزيّن له الهجرة وأغراه بالسفر بلا إبطاء .
- بعد أيام كان صاحبنا على ظهر سفينة حملته إلى مرسيليا . ومنها امتطى سفينة ثانية أقلته إلى نيويورك .
- بعد مشقة عاناها صاحبنا بلغ نيويورك . وعمل فيها بائعاً جاثلاً . وفي الليل عكف على تعلم القراءة والكتابة والحساب باللغتين العربية والإنكليزية .
- بعد مرور ثلاث سنوات أسفر جده المتواصل عن جمع عشرين ألف دولار . فأسس محلاً تجارياً في نيويورك . واستطاع أن يسجل حساباته وديونه بخط يده .
- نظراً لاستقامته وطيب سمعته لمع نجمه بين أفراد الجالية العربية وأقدم على تأسيس مصنع للحريير في شارع « فيفت أفنيو » ، وأخذ يصنع ملابس للسيدات .
- ظل هذا الرجل الدءوب الشريف يجاهد في مهجره جهاد الأبطال . وفي عام ١٩٢٩ عاد إلى فلسطين وأسس « البنك العربي » في القدس برأس مال قدره ثلاثون ألف جنيه . وخلال ربع قرن نمت هذه المؤسسة المالية وترعرعت بجهد هذا المارد الفلسطيني . وغدت منارة مشعة يعتز بها كل عربي . وأصبح رأس مالها الآن ١٦ مليون جنيه . وبلغت غروعتها في المشرق والمغرب ٦٥ فرعاً .

إخالك يا « خالد » قد عرفت اسم هذا العصامي الفذ الذي لا أسميه
نزولا عند رغبته !

كتب صحفي أمريكي مقالا عن هذا الجبار العربي أشاد فيه بعصاميته
والمعيتة ، وختمه بهذه العبارة البليغة :

«From Astone Gutter To Presibent OF The Biggest Banking Insitu
Tion IN The Middle East»

وترجمتها :

« من حجار إلى رئيس أكبر مؤسسة مصرفية في الشرق الأوسط ! »

ألا تتيه يا ولدي بهذا العصامي البطل ؟

ألا يصح فيه قول الشاعر :

بعدت بألف من زمان رجاله على أنه في الألمعية واحد !

بعد هذا الطواف الشدي الفواح إخالك ترفع القبعة تحية لهذا العربي

العملاق !

وأتصورك تحني الهامة إعجاباً بعصامي أنبته ريف فلسطين !

٢١

سألتني ذات ليلة : « كيف تعلم أبوك ؟ »

فذكرت لك بإيجاز الطريقة التي تعلم بها ، لكنني الآن - وقد أصبحت

جامعياً - على أن أروي لك قصة تعليم جدك كاملة :

ذكرت والدي أن جدتي لأبي كان معدماً فقيراً . فشبّ والدي في بيت سياحه الفقر . وراح يعاون أباه على فلاحه الأرض وزرعها . وبشق النفس كان الاثنان يجمعان مؤونة الدار من الحنطة وبذار الموسم من الشعير والقمح !

وحزّ في نفس والدي . وهو العصامي الطموح . أن يظل بلا علم .. وقد ربط والده مستقبله ومصيره بمصير الأرض التي يملكها . فاتفق مع قريب لنا كان معلماً في المدرسة الأرثوذكسية بمدينة الكرم على أن يعلمه القراءة والكتابة والحساب بعد فراغه من حرث الأرض وبذرها . فكان والدي كلما أنهى مهمته الشاقة عاد إلى الدار وربط الثور الذي يملكه إلى مذوده . وسارع إلى قريبنا المعلم . ليقرأ عليه الأبجدية والمزامير والحساب .. ولكن أنى له القلم والقرطاس وهو الشاب المعدم ! فاقترح على المعلم كتابة دروسه على بلاط الكنيسة ذي اللون الأسود . فسرّ المعلم بهذا الاقتراح . وبارك الفكرة . وانبرى يعلم والدي القراءة والكتابة والحساب على بلاط الكنيسة . وكان والدي كلما فرغ من دروسه ، يعمد إلى مسح الكلمات والأرقام بنخرة مبللة . وهكذا دواليك !

وظل والدي يجمع بين الأرض والدراسته إلى أن أتقن الأعمال الأربعة ، وهي الجمع والطرح والضرب والقسمة . وهنا خطر له نقل البضائع على حمارين يملكهما بين غور المزرع والكرك وبالعكس .

وبعد أن أتيح له جمع بعض المال بادر إلى تأسيس حانوت صغير بمشاركة صديق له . وظل يجمع بين التجارة والزراعة حتى جمع مالا

يكنى لتأسيس محل تجارى مستقل به . ونظراً لأمانته واستقامته وطيب
أحدوثه كتب الله لحدك التوفيق . حتى إذا أطل عام ١٩١١ اختاره
متصرف لواء الكرك التركي « شاكر بك » رئيساً لبلدية الكرك . فكان
أول رئيس لبلدية مدينة الكرك !

وظل نجم جلدك فى صعود حتى فارق الدنيا حميد السيرة . طيب
السيرة !

هل عرفت الآن يا « خالد » كيف تعلم والدى وأثرى وصار علماً
يشار إليه بالبنان ؟

أو تدري كيف تم له ذلك !

بالمثابرة والإصرار والإرادة !

٢٢

ولدى خالد !

تفيض رسالتى إليك بقصة حياتى . واعذرنى إذا جاءت مسهبة
لأن بعض إخوانى . وفى طليعتهم الأستاذان سامى الكيال صاحب
مجلة « الحديث » وعبد الله حلاق صاحب مجلة « الضاد » . يصرون
على هذا الإسهاب . إيماناً منهم بأن فيه دروساً وعظات لحيلك الصاعد !
وهل نكتب يا « خالد » غير قصتنا حين نكتب قصص الآخرين ،
كما يقول المرحوم مارون عبود ؟ !

يقع الباحث في الأدب العربي قديماً على ترجمات ذاتية لأعلام
بارزين في مجالات الأدب والفكر والتاريخ . وفي ضليعة هؤلاء الأعلام
الذين دونوا سيرهم بأقلامهم : ابن سينا والجاحظ وابن حزم والسخاوي
والسيوطي وابن خلدون وأسامة بن منقذ الذين جلوا مراحل حياتهم وتعلّسهم
ودراسهم وأسماء أساتذتهم الذين تأثروا بهم في ميوضه واتجاهاتهم
الفكرية بصورة قلمية رائعة !

كما يقع الباحث في أدبنا المعاصر على أدباء دونوا سيرهم واعترافاتهم
بأقلامهم . ورووا فيها ما واجهوا منذ نشأتهم الأولى إلى أن أمسكوا بتلابيب
الشيخوخة . وفي طليعتهم معلم الجيل أحمد لطفى السيد . والمفكر العساق
عباس محمود العقاد . والأديب الراحل الدكتور أحمد أمين . وعميد
الأدب العربي الدكتور طه حسين !

والآن اسمح لي بأن أصورك لك مراحل حياتي وما بلوت من شقاء ،
وقاسيت من شظف عيش في العشرينات من هذا القرن !
فذا الكون جامعة الجامعات وذا الدهر أستاذها المعبر (١) !

أول الشوط :

توفي والدي وفي من العمر عشر سنوات . وقبل أن يلحق
بربه أوصى شقيقه بأن ينفقاً سهمه من الثروة على تعلّم الطب . لكن
شقيقه راحاً يتنافسان في تبذير الثروة التي اشتهر بها بيتنا !

(١) من شعر إلياس فريحات .

وما اليتيم إلا غربة ومهانة يرى كل أم بابنها مستعزة إذا جاءه عيد من الحول عادة كأن سرور الناس بالعيد قسوة عزاءك . لا يلهم بك الضيم ، إنا فهذا « يتيم » ثاكل صفو عيشه وأوسعنى العمان . كما أوسعا أمى وشقيقتى . جوراً وتعسفاً واضطهاداً . وحشراً ثلاثتنا فى غرفة من الدار الكبرى . وقالنا بلهجة المتغطرس المتكبر : « خذوا علماً بأننا فسحنا الشركة القائمة بيننا وبين عميدكم المتوفى منذ هذه اللحظة ! »

قبعنا فى الغرفة المهجورة أذلاء صاغرین . وتزودنا بالضئيل . . الضئيل . . من الفراش والدقيق . . وعشنا بؤساء . وبلونا الشقاء . وبعدما أنهيت دراستى الابتدائية حالت والدتى - رحمها الله - دون متابعتى الدراسة لحاجتها وشقيقتى لمن يمدّ لهما يد العون . ويدفع عنهما غائلة الجوع !

وبالرغم من توسلاتى ودموعى . أمعنت الوالدة فى عنادها . ورحت من توى أفتش عن عمل حر فى حانوت تاجر دمشق . لكن الأجرة التى عرضها كانت تافهة للغاية !

لقد لفظتني رحمة الله يافعاً فصرت كأنى فى الثمانين من عمرى (٢)

(١) من شعر عبد الرحمن شكرى . (٢) من شعر عبد الرحمن شكرى .

وحاول مني انهم صبراً فلم أزل أدفعه حتى أبحث له صدرى !
 وإنى لأدري أن الموت راحة وأجنبه حتى كأني لا أدري
 ولولا تنى لا يملك اليأس صرفه لأوردني يأسى على المسلك الوعر !

الصبي التاجر :

في ظهيرة ذلك اليوم عدت إلى والدتي لأروى لها ما واجهت
 من إخفاق . لكنها قابلت جزعى بابتسامة . وأصرت على تأسيس
 حانوت صغير في الشارع العام . فأذعنت لإرادتها . واشترطت عليها
 استئناف دراستي الإعدادية والثانوية حتى كتب الله لي رزقاً يكفيها
 وشقيقتي . ويؤمن نفقات دراستي إلى أن أخرج للحياة مسلحاً بشهادة
 علمية تمكنني من إيجاد عمل مشموس شريف !

باركت أمي هذا الشرط . فرحت من توى أعدت العدة لتأسيس
 متجر صغير . وقبل شروعي في العمل طرأ أمران هامان لا بد من عرضهما :
 الأول : زار مدينة الكرك - مسقط رأسي - الجاثمة على سيف الصحراء ،
 عام ١٩٢٤ . بطريك اللاتين في فلسطين والأردن المونسنيور برلا سينا ،
 فقبول باستقبال حافل اشترك فيه الأهلون والمسؤولون . ودلف الناس
 إلى الدير للسلام على الضيف . فخطر لي أن أزور غبطته وأكاشفه
 بالمأساة التي خلفها موت والدي ، وأسأله أن يسهل لي دراسة مجانية
 في كلية كردينال فراري بالقدس !

تركت الوالدة والشقيقة لا ألقى على شيء . وقصدت دير اللاتين
 خفيفاً طائراً ، حاملاً بالمستقبل الزاهر الذي ينتظرنى . . . وبكل جرأة

دخلت القاعة الكبرى على الضيف مهنتاً بسلامة الوصول . ولبثت
ضاغطاً على يده لأقول له :

« إننى يتيم الأب . فقير الحال . وأرغب فى أن أتعلم . لكن قسوة
الحياة وظلامه المجتمع يحولان دون تحقيق هذا الخداف ! »
قال غبطته : « وماذا تريد أن أفعل من أجلك ؟ »
— أدخلنى كلية الكاردينال فرارى بالقدس مجاناً !
— حباً وكرامة !

ولكن سرعان ما أقحم معلم الدير أنفه فى الموضوع وقال للبطريك :
— « سيدنا . . . لا تقبله . . . إنه ليس من أبناء طائفتنا . . .
إنه أرثوذكسى ! »

وهنا سحب غبطته يده من يد صبي مثلى . بدعوى مصافحة
الزوار . فتولانى جزع هادم . وعدت إلى الغرفة أجراً أذبال الحيبة .
وأبكى أمنية كادت أن تتحقق . وأخفيت سر المأساة عن الأم الحزينة !
الثانى : وصل إلى الكرك قادماً من عمان تاجر من لبنان اسمه إبراهيم
القاضى . وسأل تاجراً قريباً لى أن يدلّه على صبي أمين . ليشتري له
بيضاً ودجاجاً من القرى المجاورة . فدلّه التاجر على . وشهد بأمانتى .
وأكد له أننى أهل لهذه « السفارة » !

نقدنى التاجر اللبناني بعض المال . وامتطيت من توى مهراً حروناً
حملنى إلى أقرب قرية . وبعد أن أنجزت مهمتى عدت على ظهر
مهري وصندوق البيض أمامى . وأفراخ الدجاج مدلاة خلف السرج

كعناقيد العنب !

وما إن بلغت مشارف المدينة حتى دهمتنى سيارة ركاب بصفاوتها الصارخة . فأجعل المهر . وأخذ يدورني دورات عنيفة . فصرخني أرضاً وانطلق إلى دار صاحبه الذي أدرك من توه سر مأساتي . . . فعرج على والدتي وأنبأها بالواقع . وخفت وإياها إلى الموضع الذي خضبت دمائي أرضه . فألفياني مهشم الرأس . دامي الوجه واليدين . فاستوقفا أول سيارة قادمة من عمان . وعادا بي إلى الغرفة الكثيبة الجرداء . وهناك دعت والدتي الطبيب . فضمم جراحى : وراحت المسكينة تبكى بكاء مرّاً . وتشجعني بكلماتها العذاب على تحمل الصدمة القاسية !

حلم يتحقق :

بعد أن شفيت جراحى . استأنفت الجهد لتأسيس الخازنات واتصلت بتاجر أمين عرف والدى فى ثرائه الواسع وطيب أحوالته . فزودنى بالسلع . وواصلت العمل سبع سنوات . عشت خلالها عيشة الزهد والتقشف . وكافحت كفاحاً متواصلاً فى سبيل اللقمة الحمراء . . . والمستقبل الزاهر الذى ينتظرنى . . . وعلى صوت المؤذن كنت أستيقظ مع كل فجر . لأعد الشاي والفلافل للعمال المبكرين لأعمالهم خارج المدينة . وأظل فى حركة مستمرة حتى يأوى الناس إلى مخادعهم ، فأغلق باب متجرى المتواضع وأستسلم للنوم !

وفى ساعات الفراغ دأبت على مراجعته دروس المرحلة الإعدادية :

وكالما واجهت صعوبة في حل المعادلات الرياضية والكيمائية والفيزيائية
 فزعت إلى معلم المادة ليرشدني إلى الحل الصحيح !
 وليسر الله أمري . ويحقق أمانتي . ربط بيني وبين أساتذة المدرسة
 الأميرية برباط من الصداقة . فأقبلوا على شراء حاجاتهم المتزلية من
 حانوتي . وعندما تناهى إليهم نبأ عكوفى على الدرس ، وتصميمي على تقديم
 امتحان الدراسة الإعدادية ، أكبروا عملي . واعتنوا بأمرى ، وراحوا
 يبسطون في وجهي كل صعب . وعند بدء السنة الدراسية تقدمت إلى
 الامتحان ونجحت بتفوق . وبعث الحانوت سرّاً ورحت أستوفي الثمن
 أقساطاً شهرية !

سعيّاً وراء الدراسة الثانوية :

وطمعاً بتحسين لغتي الإنكليزية قصدت بيت المقدس لألتحق
 بمدرسة صهيون الإنكليزية . وبعد أن بلغت . وقابلت المسؤولين فيها .
 وجدت أن المال الذي أحمله لا يسدّ نفقات عامين دراسيين . وبينما
 كنت في حيرة وذهول من أمرى . دخل الفندق الذي أنزله مواطني
 الأينحي الكبير النفس . الندى الكفّ . عبد المهدي (باشا) الشمايلة .
 أحد بناء المملكة الأردنية . وبعد أن وقف على جلية واقعى . اقترح
 على العودة معه إلى مدينة « إربد » . وأكد لي أن في وسعي الالتحاق
 بمدرستها الثانوية والحصول على الشهادة بالمال الذي ادخرته .
 فاستحسنّت الاقتراح وعدت ومواطني النبل إلى « إربد » . وكان
 محافظها . ولبثت في ضيافته شهراً مغموراً بعطفه وكرمه !

سعيًا وراء الدراسة الجامعية :

بعد أن سلخت في ثانوية إربد ستين ، عدت إلى مسقط رأسي ،
وقدمت الشهادة للأمام الغالية . ورحت أقنعها ببيع قطعة الأرض التي
آلت إلينا من الميراث الطائل . . . لأنفق ثمنها على تعلم الحقوق بالجامعة
السورية في دمشق . لكن أمي . يرحمها الله . رفضت اقتراحي . وقالت
لي بحدّة وانفعال : « إذا كنت عصاميًا حقًا ، فشمّر عن ساعد جدك
وابن مستقبلك بنفسك . وحاذر أن تمسّ أرضاً لم تملكها بعرق جبينك ! »
تركت هذه العبارة القاسية أثراً عميقاً في نفسي . فصرفت النظر عن
الجامعة السورية ، وعينت معلماً في وزارة التربية والعليم الأردنية ،
وعكفت على المطالعة بشغف ولذة ، وخرجت من جهادى الطويل بأكثر
من ستة عشر كتاباً قدمتها بتوقيعي المستعار « البدوي المثلّم » إلى الخزنة
العربية !

إن أبالك يا « خالد » لا يضيع جزءاً من وقته في غير طائل . ومتعنى
هى القراءة الموصولة التى تؤدى بطبيعة الحال إلى الكتابة الموصولة ،
ورواغذ الثقافة متعددة . وينابيع المعرفة كثيرة . فأنا أرافق منذ عهد
بعيد أمثال هوميروس وشكسبير وموليير والمعري ودانتي وهوغو وموسيه
وبايرون وشيلي وغيرهم .

ترقيعي المستعار :

حصلت مقالتي وكتبي التي صدرت توقيع « البدوي المثلث » .
 وراح العاملون في حقل أدبنا المعاصر يتساءلون : « من يكون
 صاحب هذا التوقيع المستعار ؟ » وبعد أن حسروا اللثام عن صاحبه
 أخذوا يمتطرونني بتساؤلهم : « كيف وقعت على هذا التوقيع الشعري
 المستعار ؟ » ورداً على تساؤلهم أقول : تعودني الذاكرة إلى عام ١٩٢٦ .
 العام الذي شرعت أنشر فيه نقثات قلبي في صحف سورية وفلسطين
 بتواقيع مستعارة . ظلت حائرة . . . قلقة . . . في نفسي . وأذكر منها :
 « أبو بارودة » و « حماد البدوي » و « أبو نظارات » و « نواف » و « فتى
 مؤاب » و « فتى البادية » !

وذات يوم كنت أتنزه بمفردي على طريق السيل في مسقط رأسي .
 فلمحت « بدويًا ملثمًا » على ظهر ناقه تسير به خبيئاً . . . والمهجن في
 يده . فطربت لهذا المنظر البدوي الرائع . وعزمت من توى على أن
 يكون « البدوي المثلث » هو توقيعى المستعار !

إلى الجامعة السورية أيضاً :

وتقديرًا من رجل السؤلة المغفور له إبراهيم (باشا) هاشم
 رئيس وزراء الأردن الأسبق : نقلت من سلك التعليم إلى رئاسة
 الوزراء . وبعد فترة عينت سكرتيراً معاراً للمجلس التشريعي .
 وبعد زواجي تركت العمل الحكومي . ونمت دمشق للالتحاق بكلية

الحقوق . ولتأخرى بضعة أيام عن موعد التسجيل رفض مسجل الجامعة السورية قبولي طالباً في كلية الحقوق . وهنا لم أريد أن أعود إلى القدس . وهناك التحقت بقلم الترجمة التابع للسكرتيرية العامة في عهد الانتداب .

رحلتى إلى أمريكا الجنوبية :

وبعد وقوع النكبة الفلسطينية الأولى . وخروج عرب فلسطين من وطنهم المغصوب . عدت إلى الأردن ، وعينت موظفاً في وزارة المالية . وبعد عام طلقت الوظيفة وقمت برحلة علمية إلى أشهر جمهوريات أمريكا الجنوبية لدراسة قصة الهجرة العربية . وبعد إقامة عامين ونصف العام في تلك الربوع عدت إلى الأردن وصنفت موسوعة كبرى أسميتها « الناطقون بالضاد في أميركا الجنوبية » . خرجت في مجلدين ضخمين من القطع الكبير .

ولعل في قصة نجاحي ما يؤكد لك ولأمثالك من أبنائنا النابهين أن لله جنوداً إذا أرادوا أراد !

٢٣

كلما طالعت نبأ هاماً أحببت نقله إليك لتقف على فحواه وتأخذ بالعبرة منه . وهدئي من هذا كله إنذار الجليل الصاعد . وقرع ناقوس الخطر لمن يؤثرون العاطفة على العقل !

جاء في إحدى برقيات « رويتر » من لندن مانصه :
 « حذر تقرير حكومي جماهير المدخنين القلقين من سرطان الرئة ،
 من أنه ليس هناك شيء اسمه « سيجارة آمنة ! » »
 وذكر السير جورج غودبر كبير أطباء وزارة الصحة البريطانية :
 « أن عدد الوفيات الناجمة عن سرطان الرئة في بريطانيا وويلز في سنة
 ١٩٦٧ ارتفع إلى ٢٨٣٥٢ شخصاً . أي بزيادة ١٢٢٧ شخصاً . وبلغ
 عدد جميع الوفيات الناتجة لمرض السرطان ١١٠٠٧٢ وفاة ! »
 وأضاف السير غودبر يقول :

« إن معظم الوفيات الناتجة عن سرطان الرئة كان سببها التدخين .
 وإذا أردنا السلامة من هذا الوباء الخبيث فعلياً محاربته والإقلاع عنه ! » .
 هذا ما أبرزته « رويتر » في إحدى برقياتها . لعل في هذه النبأ
 ما ينبه الشبان إلى هذا الوباء الفتاك ويحملهم على محاربته والتغلب عليه !

ولدى الحبيب !

مهما صورت لك مشاعر حبي . ووصفت لك خلجات قلبي .
 ومهما اخترت من الكلمات لأعبر عما أرجوه لك من خير عظيم ، ومستقبل
 زاهر . . . أجدني عاجزاً عن ترجمة مشاعري ، وتجسيد خلجات قلبي
 إلى واقع ملموس !

وأمس قرأت قصيدة لصديقي الشاعر المنهجرى الأستاذ زكي قنصل
يخاطب بها ولده « عمر » . وأبياتها يا « خالد » ترجمان لما يعتلج في
صدرى من حب وأمنيات هي ذوب ما يرجوه كل والد لبنيه المثاليين صنوك !
والساعة يحلوى أن تقرأ معي قصيدة أختينا « أبي عمر » ردّ الله غربته :
على أنقاض مجدى سوف تبني فطاول قبة الجوزاء يا ابني !
عقدت عليك آمالي ، وإني لأرويهما إذا ظمأت بعيني
ليحي أبوك في حرج وخوف وترتع أنت في فرج وأمن
إذا طافت بخاطرك الأمانى شعرت كأنها طافت بذهني
وإن بث لك الدنيا ترامت بشاشتها إلى أعماق حزني
سهرت لكي تنام على حرير إذا أغفيت أنت ارتاح جفني
وجعت لكي تشب ، ولا أبالي إذا استقويت من ضعفي ووهني
تموت أرومتي شيئاً فشيئاً لتمتص الحياة عروق غصني
وتخبو نجمتي لتطل شمساً مشعشة على سهل وحزن
ويذوى مرتعي زهراً وزهراً ليضحك وجه مرتعك الأغنـ^ة
وأهبط سلم الدنيا لترقي وألتزم السكوت لكي تغني !

• • •

بني لأنت في دهري حسامي وأنت على عواديه مجنسي
نشأت على المكارم ، لم تخيب رجائي ، ولم تحدني الدرب غني
صغيراً لم تزل ، لكن تعالى ذكاء القلب عن قدّ وسنـ^ة
أكاد أرى على عينيك طيفي وأسمع في هديلك رجع الحني

أعدت إلى طقوله فؤادى فدعه فى ملاعبه ودعنى
غداً تطوى بشاشته الليالى وتمشى النار فى جنات عدنى

بروحى أفتديك ولا أعالى وما أنا من يمن ومن يمنى
لأنت أحب من نفسى لنفسى وأكرم موضعاً للقلب منى
سالت الله أن تحيا سعيداً إذا حققت أو خيبت ظنى
أرق قصائدى معنى ومبنى وأحلاها بياناً أنت يا ابنى !
حقاً إنها ترجمان الأشواق . ولسان حال كل أب مثالى يتمنى
الخير لابنه . ناهيك إذا كان طموحاً للمجد . ساعياً للمعالى مثلك !

٢٥

الليلية يحتفل المسيحيون فى المشرق والمغرب بعيد ميلاد السيد المسيح .
لكن هناك فارقاً بين « عيد » يحتفل به الغربيون . . . وبين « عيد »
يحتفل به الشرقيون الذين تفيض قلوبهم بالروحانيات . . . وبالإيمان
النابع من نفوس صدقت ما عاهدت الله عليه !
أذكر بهذه المناسبة أبياتاً نظمها الشاعر المرحوم على منصور الذى
وقع فى الأسر الإسرائيلى عام ١٩٤٨ . وكانت يافا مقبرته . وقد أنشدها ليلة
عيد ميلاد عام ١٩٤٢ . وهى تصور جراحات « فلسطين » التى باعها
الإسكروىوطى بثلاثين من الفضة !

اسمع مايقول المرحوم على منصور :

أنت رمز السلام أنت المسيح كيف في عيدك الدماء تسيح !
 في العلا انجد للإله تعالى وعلى أرضنا السلام ذبيح
 كل حيّ على البسيطة يشكو من عوادي زمانه وينوح
 ما على الأرض يا « مسيح » سلام » إن قلب « السلام » مضى جريح
 علم الله يا ابن مريم أنا من رزايا الحروب لانستريح
 فلعل الحروب يقضى عليها يوم تندك للطغاة صروح
 بشر الكون يا ابن مريم بشر كنت جسماً وأنت لله روح

٢٦

في شهر ديسمبر عام ١٩٦٨ عقد في بيروت مؤتمر حقوق الإنسان الذي نظّمته جامعة الدول العربية وكان « الإنسان الفلسطيني » : المشرّد أبرز الأبحاث التي دارت في هذا المؤتمر .

ليس هذا هو المهم في الأمر يا « خالد » . إنما المهم أن هذا المؤتمر تلقى رسالة من الفيلسوف البريطاني برتراند راسل وقد تساءل في مستهلها :
 « كيف يمكن الإنسان أن يناقش حقوق الإنسان في الشرق الأوسط دون الدخول إلى صلب الموضوع . وهو أن خلق إسرائيل وتوسعها قد أفضيا إلى إهدار حقوق عدد كبير من الناس يقدرون بالملايين !

وأي معنى لحقوق الإنسان إذا لم تكن تعني حق المرء في أن يعيش بسلام في بلده ؟ ! »

وتساءل راسل :

« ما هي الحقوق التي يتمتع بها مئات الألوف من اللاجئين الذين يحيطون بإسرائيل والأراضي العربية التي احتلت أخيراً ؟ وإلى متى يتحملون مثل هذا العذاب ؟ وكيف يمكن للعالم أن يسمح باستمرار مثل هذا الشقاء الناجم عن عدوان صارخ ؟ ! »

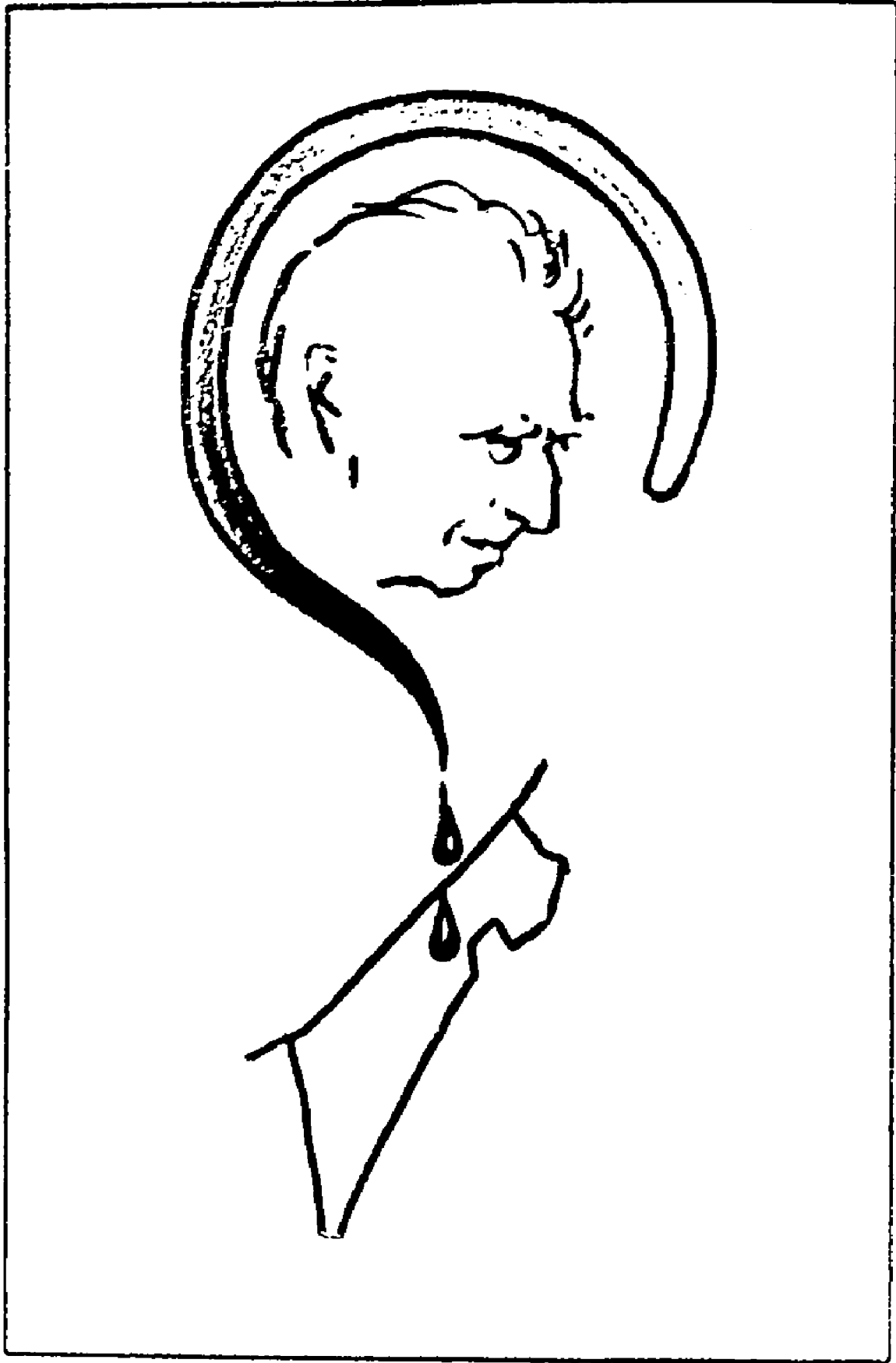
وقال راسل :

« وإذا كان لهذا العام الدولي لحقوق الإنسان أن يعنى شيئاً فلا بد أن يشهد حملة عالمية لتأكيد حق شعب فلسطين بأكملها بوطنه . وبدون هذا العمل فإن أى كلام عن حقوق الإنسان يبقى فارغاً ! »
أود أن أسألك يا « خالد » :

لو كان في الغرب والولايات المتحدة عشرات مثل برتراند راسل فهل كان العرب الفلسطينيون يطردون من بلادهم ؟
إخالك تقول : « كلا » !

الواقع يا بني أن وجود أمثال لويد جورج وبلفور وتشرشل . . . وإخوان هذا الطراز . . . كان السبب في تشريد عرب فلسطين واغتصاب موطنهم الغالي !

حيّ معي يا « خالد » قداسة البابا بولس السادس عندما علق على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بقوله : « إن من المستحيل إقامة سلام حقيقي . . . دائم . . . مادامت حقوق الإنسان تتمهن وتُداس . . . ولا يعترف بها ! »



يتساءل برتراند راسل :
« كيف يمكن للإنسان أن يناقش حقوق الإنسان في الشرق الأوسط دون
الدخول إلى صلب الموضوع، وهو أن خلق إسرائيل وتوسعها قد أفضيا إلى إهدار
حقوق عدد كبير من الناس »

٢٧

اليوم يتظاهر العرب بمناسبة وعد بلفور الذى منح بموجبه وزير خارجية بريطانيا اليهود وطناً قومياً فى «فلسطين»
واليوم تذكرت يا «خالد» حكمة جاءت على لسان كاتب أمريكى
هى : « أن الرجل الإنكليزى كريم بطبعه . . . وقد يبلغ به السخاء أن
يمنحك القميص الوحيد . . . الذى يرتديه جاره ! » .
ألا ترى معى أن من القحة والحزن والعار أن يهب وزير خارجية
بريطانيا « اليهودى الثائى » بلداً عربياً له حضارة مغللة فى القدم ؟ وشعباً
اشتهر بالذكاء والرجولة وتحدثى الزمان ؟ !

٢٨

الحبيب « خالد » !

علمت ولا شك بإقدام السلطات الإسرائيلية على اعتقال السيدة
« زائدة الخطيب » قرينة عمك المثالى فى وطنيته وصلابته وإيمانه « روحى
الخطيب » ورفيقاتها السيدة « مليحة الحسينى » والحكم على كل منهما
بالسجن ثلاثة أشهر ، وإيداعهما سجن الرملة !
واليوم ذكرت الأنباء التى تسربت من الضفة الغربية أن السيدتين

المعتقلين رقتضنا عرضاً إسرائيلياً يغيرهما بين النقي إلى الضفة الشرقية
أو إطلاق سراحهما بكفالة « حسن سلوك ! »

أتدرى يا « خالد » ماذا كان جواب السيدتين ؟

كان : إثارة السجن على إعطاء كفالة « حسن السلوك ! » وبقاءهما
وراء القضبان !

قالت السيدة « زائدة » لمن زارها في سجن الرملة :

« هم يضطهدوننا ويزجون بنا في غياهب السجون !

هم يبعدون رجالنا على أمل أن نلحق بهم ونترك الأرض والدار
والوطن ليرتعوا فيه وحدهم !

هذا هدفهم وتلك غايتهم !

ليس سهلاً أن يتمنى الطفل أن يرى أباه فلا يستطيع ذلك . لأن
العدو جاثم على صدورنا !

ليس سهلاً أن تعيش المرأة وحدها في هذا الجو العصيب . بعيدة
عن رفيق حياتها !

لكن الأرض أهم . . . والدار أهم . . . والوطن أهم !

قسماً لن أتترك الأرض . . . أو أهجر الدار . . . أو أسلو الوطن !
سأظل صامدة هنا إلى أن يأتي يوم الخلاص . . . ويطل يوم النصر ! »

لقد ذكرتني وقفة الصمود هذه بوقفة الشيخ عبد القادر المظفر

عندما ما اعتقلته السلطات البريطانية يوم الجمعة ٢٧ من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٣ في يافا مع نفر من زعماء فلسطين : وأودعهم سجن عكا . وطلب إليهم أن يقدموا كفالات « حسن سلوك ! » تمهيداً للإفراج عنهم . فقدموا الكفالات المطلوبة باستثناء الشيخ المظفر الذي أثر السجن على تقديم الكفالة ... إيماناً منه بأن الكفالة المطلوبة لا تنفق وكرامة القضية الوطنية !

راقب المرحوم إبراهيم طوقان شاعر فلسطين هذه الرواية « البطولية » فألمه ضعف الزعماء واستخذاء أصحاب « البطولات » فأنشأ يقول :

أحرارنا قد كشفتم عن « بطولتكم »	غطاءها يوم توقيع الكفالات !
أنتم رجال خطابات منقمة	كما علمنا : و « أبطال » احتياجات !
وقد شبعتم ظهوراً في « مظاهرة »	مشروعة وسكرتم بالهتافات !
ولو أصيب بجرح بعضكم خطأ	فيها : إذا لرتعم بالحفاوات
بل حكمة الله كانت في سلامتكم	لأنكم غير أهل للشهادات !

أضحت فلسطين من غيظ تصيح بكم :

خلوا الطريق فلستم من رجالاتي !

ذاك السجين (١) الذي أغلى كرامته فداؤه كل طلاب الزعامات !

و لم يقف « إبراهيم » عند حد تمجيد الشيخ المظفر والتنويه بموقفه

المشرف ، بل أوحى له إعجابه بصلافة عود المظفر بأن يقول :

(١) يعنى به الشيخ عبد القادر المظفر .

انظر لما فعل « المظفر » إنه
أحيا القلوب . ودونهن ودونه
عرضوا « الكفالة » والكرامة عنده
ورأى التحير في التخير سبة
لم يخل ميدان الجهاد بسجنه
ولكم خلا بوجود جيش زاخر
إن « المظفر » من حديد جسمه
نفع القضية غائباً لم يحضر !
غرف الحديد وحاميات العسكر
عبثاً وهل عرض يقاس بجوهر ؟
فقدى كرامته « ستة أشهر ! »
فلقد رماه بقلبه المتسعر !
يمشى إليه بخطوه المتعثر !
فيما أرى . وجسومهم من سكر !

بعد هذا التفصيل الشدي الفوح حي معي يا « خالد » السيدتين
المثاليتين « أم هاني الخطيب » ومليحة « الحسيني » . وسل ربك أن يكثر
من هذا الطراز الممتاز . ويسخو على أمتك بالمناضلين السائرين
على دروب الكفاح !

٢٩

خطر لي اليوم أن أحاطبك بلون جديد من الرسائل ، يختلف عن
ألوان الرسائل التي وجهتها إليك .

خلال دراستي الثانوية كنت معجباً بقصيدة « إذا » للشاعر والروائي
الإنجليزي « رود يارد كبلنغ » (١٨٦٥ - ١٩٣٦) .

ولتقبس العظة من هذه القصيدة الرائعة آثرت نقلها إلى العربية
لتصيب الهدف الذي توخاه شاعر الإمبراطورية البريطانية :

إذا

استطعت أن تحتفظ برأسك في الوقت الذي يفقد فيه من حولك
رءوسهم ، وينحون عليك باللائمة !

إذا

وثقت من نفسك في الوقت الذي يشك فيه الجميع ، ومع ذلك
سامحتهم لأنهم شكوا فيك !

إذا

استطعت أن تنتظر ولا تمل الانتظار ، ولم تقابل أكاذيب الناس
بالأكاذيب !

إذا

كرهك الناس ولم تكرههم ، وإذا تظاهرت بأنك لست أحسن
الناس ولا أحكمهم !

إذا

استطعت أن تحكم دون أن تسيطر عليك أحلامك ، وأن تفكر
ولا تجعل التفكير هو كل أهدافك !

إذا

استقبلت النصر كما تستقبل المزيمة سواء بسواء ، وإذا استطعت
أن تتحمل نتيجة أقوالك ... وأن تشاهد المول يهدم كل ما وقفت
من أجله حياتك ، وتنحني لتبنى من جديد ما تهدم !

إذا

استطعت أن تجعل من كل انتصاراتك نصراً واحداً ، ثم تغامر

به وتفقدته . ثم تعود فتبدأ من جديد بغير أن تتحسر على ما فقدت
وما تعبت !

إذا

صبرت في وقت لا تملك فيه سوى إرادتك . تصرخ فيك وتهيب
بك أن تيا مسك !

إذا

استطعت أن تتحدث إلى الشعب بغير أن تفقد فضائلك . وأن
تصاحب الملوك بغير أن تفقد اتصالك بالشعب !

إذا

استطعت أن تمنع الأعداء والأصدقاء من أن ينالوا منك . وأن
تحسب لكل إنسان حسابه . ولكنك لا تخشى الناس مجتمعين !

إذا

استطعت أن تملأ فراغ كل دقيقة بالعمل . وإذا كانت كل ثانية
في حياتك تمضي في جهاد مفيد !

إذا

استطعت أن تفعل ذلك كله . ملكت الأرض وما عليها .. وأصبحت
أكثر من ذلك .. أصبحت رجلاً يا ولدي ! » .

لعل المقطعين الأخيرين هما « زبدة » هذه الرائعة الشعرية ...
ولعلك تحفظهما عن ظهر قلب ... وتتخذ منهما قاعدة ذهبية لأعمالك
وتكررها كل صباح وهما :

إذا

استطعت أن تملأ فراغ كل دقيقة بالعمل ، وإذا كانت كل ثانية
في حياتك تمضي في جهد مفيد !

إذا

استطعت أن تفعل ذلك كله . ملكت الأرض وما عليها ...
وأصبحت أكثر من ذلك ...
أصبحت رجلاً يا ولدي ! .

٣٠

جاء في قصيدة طالعها هذا الصباح بيت من الشعر حمل هما ،
وفاض غمماً ، وحجب عن عيني قائلة بهجة النور والإصباح ... وهذا
البيت الفاحم هو :

طلع الصباح . فما ابتسمت ولم ينر وجهي الصباح !
لا أدري يا ولدي كيف أفسر هذا التشاؤم .. وفي وسع صاحبنا
أن يواجه الحياة بابتسامة الفيلسوف الضاحك ... وصبر الحكيم المجرب !
عرف العالم طائفة من المتشاؤمين . على رأسهم أبو العلاء المعري
(٩٧٣ — ١٠٥٧) وشوبنهاور الألماني (١٧٨٨ — ١٨٦٠) لكن يد
الله سحخت على العالم بشاعر ضاحك متفائل كأبي ماضي القائل :

أيهاذا الشاكي وما بك داء كن جميلاً تر الوجود جميلاً
كن مع الفجر بسمه توسع الأز هار شماً وتارة تقيلاً

لا سحوماً مع السواقي المواتي تملأ الأرض في الضلاء عويلاً
ومع الليل كوكباً يؤنس الغا بات والنهر والنربى والسهولاً
لا دجى يكره العوالم والناس فيلقى على الجميع سدولاً
انظر يا «خالد» الفرق بين شاعر يغرق في التشاؤم حتى شحمة
الأذن ... وشاعر ضاحك يسبح الله في قصيده ونشيده !
أريد منك يا «خالد» أن تقابل الحياة بالتفاؤل . وتأخذها بالصبر
وعلى ثغرك ابتسامة المؤمن الراضى !

٣١

لا تسلم عن فرحتي هذا الصباح بنباين طالعتهما في مجلة «البيان»
الكويتية . أولهما :

صدرت في الهند ترجمة باللغة الأوردية لجمهورية أفلاطون ،
ومترجمها هو رئيس جمهورية الهند الراحل السيد ذاكر حسين ، ولقد
ظهرت هذه الترجمة القيمة بين حوالي ثلاثين مصنفاً آخر نشرتها أكاديمية
الآداب الهندية . وكلها من عبون الآداب الكلاسيكية الغربية بمعاونة
من اليونسكو . وثانيهما :

ظهرت مؤخراً ترجمة أدبية أخرى بقلم رئيس جمهورية تانزانيا جوليوس
نيريري لمسرحية شكسبير «يوليوس قيصر» إلى اللغة السواحلية .

لو استعرضنا تاريخ أدبنا العربي قديماً وحديثاً لوجدنا فيه عشرات
من أسماء الخلفاء والملوك والأمراء الذين صنفوا الكتب . وقرضوا الشعر !
أو لم يقل الزبير بن بكار :
« الكتاب ملوك . وسائر الناس سوقه ! »
أو لم يقل فولتير :
« وما على إذا لم يكن في صولجان .. أفليس في قلم ؟ ! »

٣٢

سألتني في رسالة تلقيتها هذا الصباح :
« ما سبب ضعف العرب ؟ »
للإجابة عن هذا السؤال عدة أسباب أبرزها كما قرأت في صدر
شبابي قول غوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » :
« من جملة الأسباب في ضعف العرب اختلاف الأمم الذين خضعوا
لسلطاتهم . فقد أدى هذا الاختلاف إلى تمازج شعوب لا يشبه
بعضهم بعضاً ، وإلى تنازع هذه الشعوب !
ونشأ عن هذا كله تزاوج عناصر متباينة ، فأفسد هذا الزواج ،
دم الفاتحين من العرب . ولقد كان تمازج الشعوب المتباينة في بلاد
واحدة سبباً في انقراض هذه البلاد في كل عصر من العصور .
ولقد أثبت التاريخ ألا سبيل إلى إبقاء أجناس مختلفة في قبضة

واحدة إلا بأمرين :

الأول : أن يشتد سلطان الفاتحين فلا تخرج الخوارج عليهم .
والثاني : ألا يتزوج الغالب من نساء المغلوب . أى : ألا يندمج
الغالب فى المغلوب . وهذا الأمر الثانى لم يحذره العرب ! «
نعم ! لم يحذر العرب هذه العوامل كلها حتى اختلطوا فى الأعاجم .
فتفرقت كلمتهم . وذهبت ريختهم . وضعف تغنيهم بعروبيتهم !

٣٣

لعانى لا أزعجك بحديثى عن أضرار التدخين وتسببه فى السرطان !
قبل أيام نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » رأياً للدكتور إيمرسون
مدير الأبحاث الخاصة باكتشاف السرطان (بمركز سلون - كترنج
التذكارى للسرطان) . ورئيس لجنة مكافحة السرطان بمدينة نيويورك ،
قال فيه :

« ثبت بطريقة صحيحة أن تدخين السجائر عامل ذو أهمية مباشرة
وكبرى فى نشوء سرطان الرئة ، ولا يجادل أبداً فى تبرئة ساحته ! »
وفى نفس الأسبوع الذى نشرت « نيويورك تايمز » هذا الرأى
نشرت صحيفة « نيويورك هيرالد تريبون » مقالا بقلم الكاتب العلمى
إيرل أو بل جاء فيه :

« لقد كشف العلماء عن أن التدخين شر مصيبة جديدة بين

شعبنا ، وهي مرض « الامغيزيما » أو « ضيق النفس » : وهو مرض يصيب
الرئة . ويترك صحته يلهث وهو يريد أن يتنفس ! »

وأنهى الكاتب العلمى مقاله بكلمة قالها نائب مدير القسم الطبى
بسلاح الطيران الأمريكى هى :

« أن الأدلة المتزايدة التى تربط تدخين السجائر بسرطان الرئة
وأعراض القلب والرئة لا يمكن تجاهلها ! »

أنقل إليك يا « خالد » خلاصة ما قيل حول علاقة التدخين
بسرطان الرئة .. وأسأل الله أن يجنبك التدخين ، ويقيك شر هذه الآفة
البشرية السامة !

٣٤

كان رجالنا الأوائل على مدى واسع من الحكمة والمعرفة وسداد
الرأى : وبهذه الصفات حكموا العالم .

أمس عثرت على كلمة للخليفة العادل عمر بن الخطاب هى :

« إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول :

هل له من حرفة ؟

فإن قالوا : ” لا “ سقط من عيني ! »

ومن أقوال « فولتير » التى مازلت أحفظها :

« الناس كافة طيبون إلا الذين لا عمل لديهم يزاولونه ! »
 شعر الخليفة العربي بسمو الحرفة . وجلال قدرها ... فأرسل حكمته
 هذه !

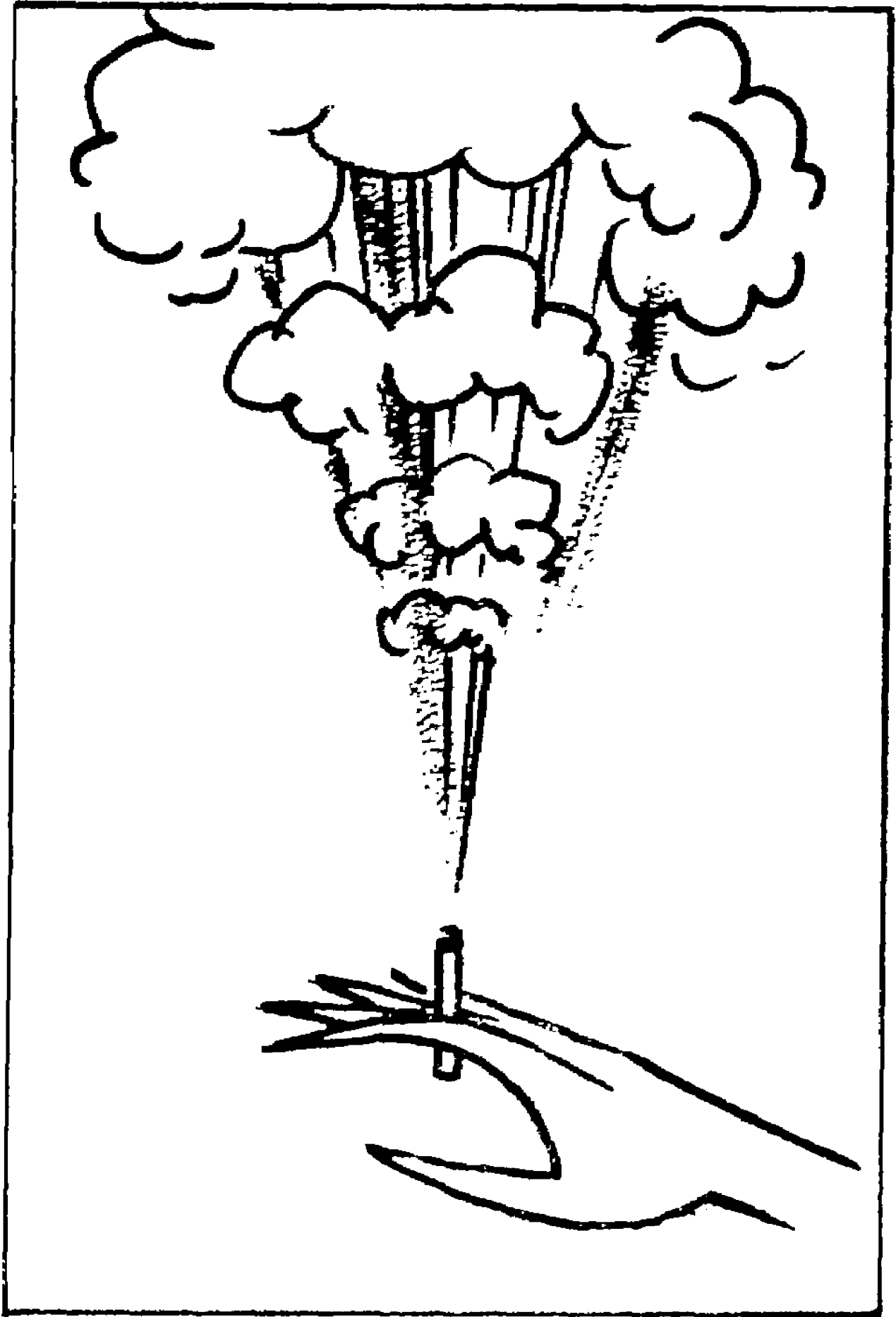
أولا يجدر بشبابنا الجامعيين أن يقبلوا على طلب « الحرفة » التي
 تقيهم ذل السؤال . وتوفر لهم حياة كريمة : وتؤمن لهم مستقبلا أفضل ؟ !
 إنهم إن فعلوا هذا ... كانوا حكماء ... وإن ساحوا في متاهات
 الغباوة ... حكموا على أنفسهم بالدمار . وعلى ذواربهم بالتهلكة !

٣٥

أخرس الموت قلب البطل اليوناني العظيم جورج بابا ندريو رئيس
 الوزارة اليونانية الأسبق . فانطوت بموت هذا المجاهد الجريء صفحة
 مشرفة من صفحات تاريخ اليونان الحديث . وتوارت انتفاضة وطنية
 كبرى بموت الرجل الذي قاد معركة الجهاد ، ضد أعداء الديمقراطية
 في مهد الديمقراطية !

كانت لهذا الشيخ الإغريقي مواقف مشهورة مع الملك الشاب
 قسطنطين (المبعد اليوم) . و كان ينظر إليه نظره إلى شاب نزيه مغرور
 يحاول الاعتداء على الديمقراطية ..

إن الديمقراطية الصحيحة لتفاخر بمثل هذا الطراز الممتاز من
 الرجال الأفذاذ ، وهم في نظري المدافعون عن حياض الكرامة ، المنافحون
 عن شرف « الإنسان » وسيظلون أساطير نضال ، وستظل مواقفهم الصلبة



أسأل الله أن يحجبك التدخين ويقيك شر هذه الآفة البشرية السامة

متارات عزة وفخار للأجيال القادمة . يأتون بهديها ، ويتطلعون إليها
كمثل ... ودرس ... ينبغي الاقتداء به !
ولكن ما أقل هذا الجوهر الفرد ، في هذا العصر !

٣٦

أمس زارتنا سيدة عربية قدمت من الضفة الغربية بفلسطين ،
وحدثتنا حديث الزهو والاعتزاز عن أبنائنا الفدائيين الذين أقضوا
مضجع إسرائيل . ولقنوها دروساً في التضحية والقداء . وأفهموها بلغة
الحديد والنار أن العرب لن يستخذوا لها . ولن يفرطوا بفلسطين ،
وطنهم المغصوب . مهما تألبت عليهم قوى الشر والطغيان . وسيظلون
يخاربون ويكافحون إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً !

يذكرني حديث السيدة العربية بالحرب العالمية الثانية . يوم صب :
« هتلر » جام غضبه على بريطانيا ، وغزاها بحراً وجواً . وحاصر الألمان
الجزر البريطانية ... فمنعوا عنها الغذاء ، وقل الرجااء !

نعم ! قل الرجااء إلا صوتاً واحداً جلعجل بينهم ... فصنع من الهزيمة
نصراً . ومن المجاعة شعباً . ذلك هو صوت الشيخ الصابر ونستون تشرشل
القائل في خطبته الشهيرة التي يحفظها إلى اليوم صبيانهم وصباياهم :

« ... سنحارب مهما كان الثمن ... سنحارب ونحمي سواحلنا ...
سنحارب على أرض مطاراتنا كل غاز ، وسنحارب في حقول ريفنا ،

وفي شوارع مدننا ، وسنحارب فوق رموس تلالنا . . . لن نستسلم أبداً .
ولو وقعت هذه الجزيرة في قبضة الأعداء فلسوف ننتقل بالحرب خارجها
برجالنا ... بأسطولنا ... ! » .

وبعد صراع دام خمسين عاماً بين عرب فلسطين والإنكليز ،
ومن بعدهم اليهود ، صمم أهل فلسطين ومعهم إخوانهم العرب . على
الصمود والكفاح . ولسان حال كل منهم ينشد قول المتنبي :
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم

تحت طعن القنا وخفق البنود !
والواقع يا بني أن الأحداث الجارية دلت العرب على أن الكفاح
المسلح هو طريق النصر !
سبب العيش اعدة و كفاح لا يصون الحقوق إلا السلاح

٣٧

اليوم نحتفل ، أنا والدتك ، باليوبيل الفضي لزواجنا ... أي
بمناسبة مرور ٢٥ عاماً ! وهنا أستعير عبارة من السيد تشرشل العجوز
جاءت في مذكراته :

« كان زواجي أسعد حادث وقع لي في حياتي ! »
واستطرداً مع هذه العبارة أقول : إن زواجي كان ناجحاً إلى أبعد
حد ... وأحمد الله الذي هيا لي رقيقة درب اتسمت بالعقل والرصانة ،

واهرب من القشور . ولولاها ، ولولا والدتها أسيدة انشالية ، لما كنت
وشقيقائك الثلاث مضرب المثل في التربية ، ودماثة الأخلاق والبعد
عن الزهو والخيلاء !

حَقًّا يَا خَالِد « لقد كان زواجي أسعد حدث وقع لي في حياتي !

٣٨

إنخالك قرأت في الصحف اليومية نبأ الظائرة الإسرائيلية التي دمرها
فدائيان عريان في أثينا ، انتقاماً من بربرية إسرائيل والهجمات الجوية
التي قامت بها على المدنيين العرب في الضفة الشرقية !

يسوقني هذا الحديث إلى حديث قديم العهد ، وقع لي خلال زيارتي
سان باولو (البرازيل) في عام ١٩٥٠ .

والحديث القديم العهد أنقله إليك بالحرف الواحد من موسوعي
المهجري « الناطقون بالضاد : في أميركا الجنوبية » :

« قنبلة قروية » :

بعد أيام من وصولي إلى سان باولو دعاني « الشاعر القروي »
لحضور حفلة مولد النبي العربي الكريم ، الذي جمع من شتات البدو
دولة ، وبعث من جوف الصحراء حضارة ، ونفخ في قلوب العرب
من روح الله ! فطمحوا إلى ملك كسرى وهم جياح ، وسموا إلى عرش
قيصر وهم عراة ، وحكموا العالم وهم سذج ، وظهروا للعيان أمة واحدة

نهدف هدفاً واحداً . وتعبد ربّاً واحداً مدت جناح ملكها من نهر
« تاج » بإسيانيا إلى نهر « الكانج » في الهند . أى من نهاية المشرق إلى
أول المغرب . ورفعت أعلام الحضارة في سائر أنحاء المسكونة أيام
كانت أوربا سائرة في جهالاتها !

في الموعد المضروب وافاني صديقناى الشاعران « القروى » و « ميشيل
مغربى » حيث سرنا خفاً طائرين إلى دار « الجمعية الخيرية الإسلامية »
وهناك تناول نفر من الخطباء رسالة « سيد قریش » من كافة نواحيها
وأبعادها . وهاهو ذا الشاعر القروى « نشوان طروب » بآى الذكر الحكيم
يرتله شاب حمصى رخمى الصوت .

وفي خاتمة المطاف وقف « القروى » بقامته الفارعة . وانهاك على القوم
بسياط الزجر والتفريع . وأرسل شعره ناراً لذعت من أخذتهم سنة النوم
فاستكانوا عن أخذ الثأر . بالصارم البتار ... !

وهل قرأت لشاعر يغار على أمته شعراً لا ذعاً مشحوناً بالسخرية ،
كالشعر الذى أنشده « القروى » قديس القومية العربية في تلك الأمسية ،
فهز به أمة طيبة الأعراق . ونفخ فيها من روح البطولة ، وحضها على
الآ تنام على عار الخزيمة !

ودونك أبيات « القروى » التى حملها الأثير إلى البسيط العربى :
فهز أحراره المتطلعين إلى فجر يوم جديد !

أهنى النفس أنى لا أهنى	أهنى بعضكم بعضاً وإنى
مسيرة لكم ويقال إنى...؟!	أنقض مبدئى وأخون عهدى
ولو قطفوه من جنات عدن	أرى تفاح هذا العيد جراً

وأفس ناعم الأزهار شوكتاً
ويضرف ناظري حسن الغواني
وأشوق عطرها نكتاً
ويجرح مسمعى شد والمغنى

أأرضى و.. الرسول قتيل غيظ
وعيد هائل سمعته روحى
وأفرح و.. المسيح شهيد حزن؟
ولولا لغطكم سمعته أذنى!
أمسخرة الشعوب لعنت شعباً
تعيد لى وأنت تبيح أرضى
ولكن يا «خالد» !
وعرضى لليهود إليك عنى !!

بعد هذا الوعى القومى الذى لف العرب فى كافة أمصارهم بشملته
ألا توافقتى على استبدال عبارة :
« أمسخرة الشعوب ... »
بعبارة :
« أممخرة الشعوب ... » ؟

إخالك توافق على هذا الإبدال .. وتبارك .. وتصفق !

• أرجو أن تصلى يا «خالد» ! ...
صباحاً : عند بكورك من النوم ،
ومساء : عند ما تأوى إلى الفراش ،

وأن تتوجه إلى الله بقلبك الكبير وتسأله تحقيق أمانيك العذاب ،
والرأفة بأمته ، والإشفاق على عالم يخرج بالمخاطر !
واذكر يا ولدي كلمة « غاندى » القائل :
« إن الصلاة التى تصدر من القلب ... لن تصل طريقها إلى الله ! »
كتب « فولتير » قبل وفاته بثلاثة أشهر يقول :
« إني أموت وأنا أعبد الله . وأحب أصدقائى . ولا أكره أعدائى ،
وإنما أكره الاضطهاد فقط ! » .

٤٠

اليوم أحلت على التقاعد !
فافرح معى يا « خالد » وشاركنى فى بهجتي : لانفكاكى عن
الوظيفة التى أراها « قيئاً » يكبل طموحى و« أصفاداً » تغل حريرى
وفكرى !
اليوم يا ولدى أشعر بامتلاك حريرى ... ومن قبل كنت أرى نفسى
« عبداً » لطغمة من الناس دأبها « العنطرة » واستغلال الوظيفة !
كان العصر الذهبى الذى عشته فى الثلاثينات ... ذلك العصر الذى
عملت فيه مع نفر من بناء هذا البلد ، تميزوا بنظافة اليد والترفع عن ملء
الجيوب !
إحبال فهمك كفاية .. وأسأل الله أن يجنبك « الوظيفة » ويبعد عنك

أغلاخا . ويايئك عملا كرىماً يؤمن لك حياة موفورة العزة والكرامة !
 أمنيى يا «خالد» أن تفر من «الوظيفة» فراك من «الأجرب»...
 ولعلك تشاركنى فى الفرحة بعد أن تحررت من خشخشة القيد ،
 وصليل الأغلال !

فى عام ١٩٤٥ استقلت من عملى الحكومى فى ديوان رئاسة الوزراء
 بعمان . وعندما تناهى نبأ ذلك إلى عملك الأستاذ فريد السعد كتب إلى
 من «حيفا» يقول :

«أحسنى فى ترك العمل الحكومى . والموظف فى نظرى هو شخص
 طفيلى يعيش على فتات الموائد !»

وكتب «عرار» شاعر الأردن إلى بكره الأستاذ وصنى التل عندما
 كان طالباً فى الجامعة الأمريكية ببيروت يقول :

«أحذرك من الالتحاق بالوظيفة . فراتب الوظيفة هو من عرق الفلاح ،
 والله لا يبارك من يستبيح عرق هذا المسكين . ويستغل شقاءه ، ويسخره
 مطية لأغراضه !»

٤١

أمس استمتعت بكتاب حملة إلى البريد هدية من الخارج . ولقد
 وقع نظرى على عبارة هى رأس الحكمة بعينه . لأبى الحسن الشاذلى :
 «نحن كالسلحفاة التى تربي أبناءها بالنظر !»

صدقنى يا «خالد» أننى لا أذكر وأنت يافع أننى مددت إليك

يداً بالضرب ... أو عنفتك مرة ... أو همزت في وجهك عصا الزجر
والتأنيب... والفضل في هذا كله لتربيتك البيتية أولاً . ولطبيعتك اخادثة
الوادعة ثانياً !

ولقد عشت بيننا ما عشت فكنت عميق التفكير . سديد الرأي .
هادئ الطبع . وكانت تربيتك بالنظرة .. كما تربى السلحفاة أبناءها !

٤٢

كان اللغوى الشهير المرحوم رشيد الشرتونى ينادى العرب المسيحيين
بقوله : « علموا أولادكم القرآن ! »

إيماناً منه بأن العربى لا يملك ناصية لغته ما لم يحفظ القرآن الكريم .
عن ظهر قلب . عندها يقوى أسلوبه . وتجزل عبارته !

للإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه قوله :

« مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة (١) ريحها طيب .

وطعمها طيب ! ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة . طعمها

طيب ولا ريح لها ! ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة .

طعمها مر ولا ريح لها ! »

(١) شجرة من فصيلة الليمون .

٤٣

اعذرني إذا أكثر من الحديث عن العصاميين الأفذاذ ...
وكما تعلم فإنني شديد الإعجاب بكل عصامي يبني مستقبله .. لبنة
لبنة !

قبل اليوم حدثتك عن ثلاثة من العصاميين هم :
ابن لادن السعودي . أوناسيس اليوناني . والحاج عبد الحميد
شومان الفلسطيني !

واليوم يحلوني أن أضيف إلى هذا العقد عصامياً من طراز فريد .
وهو المؤرخ جورجى زيدان مؤسس مجلة «الاحلال» وصاحب المؤلفات
الشهيرة !

ولد زيدان عام ١٨٦١ في بيروت ونشأ في أسرة فقيرة متواضعة ...
وكان والده أمياً ، وقد شعر بالحاجة إلى الكتابة والقراءة لما فتح مطعماً
صغيراً في ساحة الهرج ببيروت ، فدفعته حاجته إلى أن يبدأ بتعليم ولده
جرجى القراءة والكتابة ، فأرسله وهو في سن الخامسة ، إلى معلم شبه أمي ...
وانتقل جرجى إلى مدرستين أخريين خرج منهما في سن الحادية عشرة
ليساعد والده في مطعمه إلى أن يوفق في استخدام « سفر جى » !

وبعد سنة من عمله في المطاعم أدخله والده في صناعة الأحذية ، ولكن
العمل أثر في صحته ، فعاد إلى المطعم !

ومن ساحة البرج غادر جرجى مضعم والده . ليلتحق بالكلية
الإنجيلية السورية (الجامعة الأمريكية اليوم) واستطاع بجلده وصبه ورغبته
الحقيقية في العلم أن يجتاز الامتحان المؤهل لدخوله الكلية . والتحق بمدرسة
الطبيب ، وهو لا يصدق أنه قد تم له كل هذا النجاح !

وكم كانت فرحته شديدة عندما بدأ توزيع شهادات الامتياز
في آخر العام ونودي باسمه . ونال شهادة الامتياز باليكيماء التحليلية
وباللغة اللاتينية !

واضططر جرجى إلى ترك مدرسة الطب تضامناً مع زملائه الذين
احتجوا على موقف رئيس الكلية من أستاذ قدير أحبوه . وقرر السفر
إلى القاهرة لإتمام دراسة الطب ، في مدرسة « قصر العيني » ولم يلبث
أن تحول إلى الصحافة والأدب .

أصدر مجلة « الهلال » عام ١٨٩٢ في القاهرة . وأفاد من معرفته
بعدة لغات أوربية وبعض اللغات السامية في اقتباس طرائق البحث
الحديث في اللغة والأدب والتاريخ ووضع طائفة من المؤلفات الشهيرة .
كما كتب سلسلة من الروايات التاريخية المشوقة . وفي عام ١٩١٤ توفي
هذا الصحفي العصامي في القاهرة . وهو من شوامخ مؤرخي العرب !

٤٤

وردت فقرة في خطبة ألقاها الملك جورج السادس ليلة عيد الميلاد
في عام ١٩٤٢ هي :

« اعتاد أحد رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية أن يروي
أن ولداً كان يحمل طفلاً صغيراً إلى أعلى الجبل : فلما سئل :
« أليس هذا الحمل ثقيلاً عليك ؟ »
أجاب :

« هذا ليس حملاً ... إنه أخى »

تفيض رسائلك إلى بشكري على ما ضحيت في سبيل مستقبلك
وفي سبيل والدتك وشقيقاتك .. !

هل نسيت يا « خالد » أنني والدك ... وعلى الوالد المثالي العطوف
أن يضحى بنفسه .. ليوفر لأكباده التي تمشي على الأرض حياة أفضل !
لا تنسى أنك « النسخة الثانية » عني !
ولا فرق بين « النسختين » !

٤٥

هل تؤمن بالنبوءات يا « خالده » ؟
 أمس وقع نظري على بيتين لشاعر قديم : أشار فيهما إلى عصر
 المذياع .. والتلفاز .. وهما :
 غنت سليمى في الحجاز فأطربت من بعدها أهل العراق نشيدا
 ولو أنها رقصت بمصر فقد ترى في أصهبان لقدّها تأويدا
 هذان البيتان يصوران ما نشاهده على شاشة التلفاز ... وما يبثه
 المذياع من طرب وغناء .. !
 فكيف تفسر هذه النبوءة التي نطق بها الشاعر العربي قبل مئات
 السنين ؟
 لا أدري !
 ولست تدري !
 ولا المنجم يدري !

٤٦

هل تظنني رجعيًّا يا « خالده » ؟
 كلا ! لست رجعيًّا مترمّتا .. لكنني محافظ على تقاليد مجتمعتنا ..

حريص على عاداته المستحبة !

إننى من القائلين مع الإنسان الأديب المرحوم شكرى شعشاعة :
« علينا أن نقتبس كل جديد ونافع ، ولا فرق عندى أن يكون
مصدره انجوس أو المسلمين . مكة أو باريس ! » .

إننى من المنادين بحرية المرأة . والقائلين بسفورها ، لأن الحياة
تتطلب الانقلاب والتطور . لكننى لا أبارك إسرافها فى التبرج والزينة
وارتداء الميئى جوب ... وأمقت تنكرها لتقاليد محيطها وتقليدها بريحيت
باردو وصوفيا لورين !

سأكون أكثر صراحة بقولى :

« إن المرأة التى تصنع لى صينية البطاطس فى القرن أجدى عندى
من المرأة التى تقدم لى جميع دبلومات الفلسفة ... وتجميعى !

٤٧

اسمع يا « خالد » !

كتب طالب جامعى إلى والده ، يقول :

« والدى !

أكتب إليك يوم الاثنين ، وأرسل خطابى إليك يوم الثلاثاء ،
فيصلك الأربعاء ، وتفهم الخميس أن دراهمى قد نفدت ... وإذا

لم ترسل لى غيرها الجمعة فسأركب القطار انسبت ، وأكون عندك يوم الأحد ! » .

فأجابه الوالد :

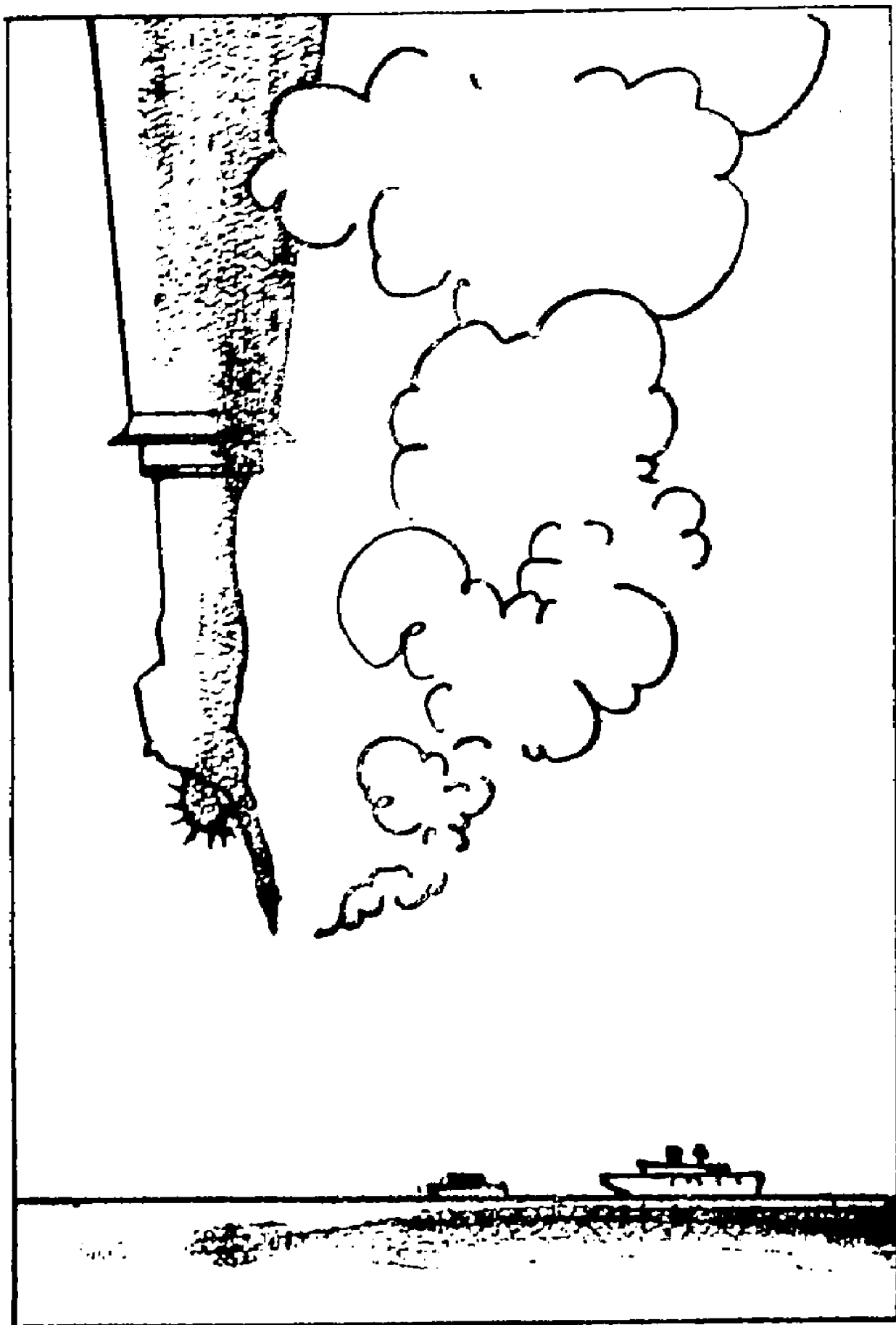
« وصلنى خطابك الاثنين ، وقرأته الثلاثاء . وليس معى دراهم الأربعاء . فتسلم جوابى الخميس ، وقرأه الجمعة ، وإذا حضرت السبت أخلع رقبتك الأحد ! » .

لكنك يا « خالد » لم تفعل شيئاً من هذا . لأنك شاب مهذب .
تزن الأمور بميزان العقل . وتفكر ألف مرة قبل أن تخطو أية خطوة !
ومنذ كنت يافعاً . كنت مترزناً فى نفقاتك ، لا تبناع إلا الضرورى
من حاجاتك . وفقك الله . وسدد خطاك ، وحقق منك ، وجنبك
الإسراف والإتلاف .

٤٨

بعد أن طغى « اليهودى التائه » وبغى فى المشرق والمغرب . واستفحل نفوذه ، فى الولايات المتحدة ، وسخر « العم سام » فى سبيل أغراضه ، أصبحت أشك فى « الديمقراطية التى تزعمها الولايات المتحدة !
وأمس وقفت على مقال فى صحيفة يومية عنوانه « مأساة الحرية ! »
تعال يا « خالد » لنقرأ معاً :

« الموكب الصامت الحزين الذى سار فى شوارع واشنطن يتقدمه



إن الحرية المفقودة في الولايات المتحدة ، ستبقى وصمة عار في جبين
الإنسان الأبيض

الألوف من الزنوج . يصور أصدق تمثيل مأساة الحرية في الولايات المتحدة التي تتشدد بالتغنى في أراضيها وتبشر بها في أنحاء العالم !
 مأساة الإنسان الأسود تصفع الإنسانية في أعز ما تفخر به . وتحطم
 كرامات ملايين الزنوج الذين يناضلون من أجل إلغاء التمييز العنصرى .
 وانعيش بسلام واطمئنان مع إخوانهم البيض !

لقد قتل بالأمس الزعيم الزنجى في الولايات المتحدة القس مارتن
 كنف . لأنه يدعو إلى التعايش وإلغاء التمييز بين الإنسان وأخيه الإنسان
 فكانت الجريمة الوحشية التي يتحمل وزرها الإنسان الأبيض في أمريكا
 مصدر نقمة وسخط شديدين من جميع شعوب الأرض الداعية للإخاء
 والمحبة والسلام !

إن تمثال الحرية الذى ينتصب بشموخ على مدخل نيويورك يجب
 أن يحطم ويدك . لأن الأمة التي تتخذ شعارها « الحرية » ويسقط أبنائها
 دفاعاً عن الحرية ضد إخوانهم ، وليس ضد أى مستعمر خارجى ،
 لا تستحق أن تدعى بما ليس عندها وليس بודהا ، كما تزعم ، أن
 تمنح الحرية للشعوب . وبودنا لو تنتفع بقول الشاعر العربى :

يأيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم !

إن الحرية المفقودة في أرجاء الولايات المتحدة . والاضطهادات
 التي يتلقاها الإنسان الأسود هناك ستبقى وصمة عار في جبين الإنسان
 الأبيض ، وفي جبين الشعب الذى يدعى الحرية وهى براء منه ! »

٤٩

أبرز ملحق « الأنوار » حديثاً للصحفية الفرنسية ميشيل راى :
نشرت مجلة « كونكرات اليسارية الألمانية الغربية » عن الفدائيين الفلسطينيين
وتمضيةها مدة شهرين معهم .

ولقد ختمت هذه الصحيفة حديثها بهذه العبارة :

« وأذكر ذات يوم أننى شاهدت صليباً من ذهب يطل من صدر
أحد الفدائيين . فاستغربت ذلك ، إذ كنت أظن الفدائيين جميعاً
من المسلمين : ولما قلت ذلك للفدائي ابتسم وقال :

« ألا تعرفين أن هنا عشرات من المسيحيين العرب مثلى ، يقاتلون
فى صفوف « فتح » ؟

إننا جميعاً عرب . والصهيونيون لا يميزون بين مسيحي ومسلم ، الاثنان
لديهم من العرب سواسية ، ويجب التخلص منهم !

لقد اعتدوا على كنائسنا كما اعتدوا على مساجد إخواننا المسلمين !
أسوق إليك هذه النبذة وأسوق معها بالمقارنة الحادث التاريخي

التالى :

لما كان القائد العربى أبو عبيدة بن الجراح يقود جيشاً عربياً على
مشارف الشام لتحرير سورية من حكم بيزنطية ، كتب إلى جبلة بن
الأيهم الملك الغسانى يقول :

« هل تحاربون مع أبناء دينكم (يعنى الروم) ؟ أم تحاربون مع أبناء الأعمام والأخوال ؟ »

فأجابه جبلة بن الأيهم بقوله :

« بل نحارب معكم يا أبناء الأعمام والأخوال ! »

لو عرف الغرب أن العرب عرب قبل عيسى ومحمد : لما حاولوا زرع بذور الشقاق بين هذين الشقيقين !

ولو أدرك الغرب أن الفرق بين العربى المسلم والعربى المسيحى هو كالفرق بين الأمريكى البروتستانتى والأمريكى الكاثولىكى ، لكفوا عن الدس والتفرقة والوقیعة بين هذين الشقيقين !

٥٠

أجاءك نبأ الصراع العنيف الذى قام بين كاهن أرجنتى وبين الصهيونية العالمية ؟

دونك تفصيل ما وقع :

قرر كاهن كاثولىكى فى بونس آيرس (عاصمة الأرجنتين) إقامة قداس عن أرواح الفدائيين العرب الذين سقطوا فى حومة الشرف وهم يكافحون لتحرير فلسطين .

وليجئ القداس حافلا بالمؤمنين وزرع الأب أليو مينيفيل منشوراً

جاء فيه أنه سيرثس القديس . عن أرواح الذين سقطوا وهم يكافحون
لتحرير فلسطين . وكذلك عن أرواح اللاجئين العرب ضحايا العدوان
الصهيوني . .

ما كاد هذا النبأ يذاع حتى شنت الجالية اليهودية في بونس أيرس
حملة عنيفة على ذلك الكاهن الشريف . واتهمته باللاسامية . الأمر الذي
اضطر رئيس أساقفة بونس أيرس للتدخل في الأمر وإلغاء القديس المتوى
إقامته في الكاتدرائية الكاثوليكية . وحجته في ذلك أن الكاهن لم يحصل
على « ترخيص » بإقامة القديس !

أسقط في يد الأب أوليو مينيفيل . . واتهم باللاسامية ، وشن عليه
الزعماء الصهيونيون هجوماً عنيفاً . وزعموا أنه معاد للسامية . وأن القديس
المذكور يمكن أن يلحق ضرراً عالمياً كبيراً بالتقارب الذي بدا بين
اليهودية والكاثوليكية منذ المجمع المسكوني . وأن هذا القديس هو أول
قديس من نوعه في كنيسة كاثوليكية ، وربما حمل كنائس أخرى على
السير في نفس الطريق !

ورد الأب الشريف على هذا الهجوم بقوله :

« سألقى موعظتي عن ضحايا العدوان ، ولكني لا أستطيع أن أضيف

شيئاً آخر قبل أن ألقى الموعظة ! »

ألا توافقني يا بني على أن اليهود هم طاعون البشرية وسرطانها ؟

ألا تعذرني إذا سألت البارئ تعالى :

لماذا خلقتهم يارب ألتعذب البشرية . . . وأنت الشفيق الرحيم ! »

لم يقف الشطر العربى المغترب فى بونس أيرس « الأرجنتين » مكتوف الأيدى أمام الضجة التى أثارها اليهود هناك ضد الكاهن الكاثولىكى أوليو مينيفيل الذى دعا إلى إقامة قداس عن أرواح الفدائيين واللاجئين العرب !

لقد رد المغتربون العرب ومعهم عدد من الأرجنتينيين ، بتوزيع منشورات تندد بالعنصرية الصهيونية ، وتكشف جرائم إسرائيل ، وتشيد ببطولة الفدائيين العرب ، ووزعوا هذه المنشورات داخل الكاتدرائية الكاثولىكية فى بونس أيرس على الرغم من القرار الذى اتخذته رئيس الأساقفة بإلغاء القداس عن أرواح الشهداء العرب بحجة أن الأب أوليو مينيفيل لم يطلب تصريحاً رسمياً بذلك .

وخشية إثارة مشاعر سياسية ... أتدرى يا « خالد » ماذا خلف

قرار المنع ؟

نتيجة لهذا القرار تحول القداس المذكور فى الكاتدرائية إلى قداس عادى ، وقام عدد من العرب والأرجنتينيين بالانتقال من مقعد إلى آخر ، حيث وزعوا فى الكنيسة منشورات تهاجم إسرائيل والصهيونية ، وتحبى الفدائيين العرب ، وهاجمت المنشورات الزعماء الصهيونيين فى الأرجنتين ، وقالت إن وقاحتهم لا حد لها !

ما زال فى الدنيا خير ... وما زال فيها أناس يشعرون شعوراً إنسانياً .
 يناصرون الحق ، ويناجزون الباطل !
 لا تكفريا ولدى .. لا تكفرا !
 فما زال فى البشرية بقايا خير .. وذرات شرف ... وحببات أنفة
 وكرامة !

٥٢

الليلة يحتفل المسيحيون بذكرى ميلاد السيد المسيح ويشاركون
 أجواق الملائكة بالهتاف التقليدى :
 « المجد لله فى العلا ، وعلى الأرض السلام ، وفى الناس المسرة » .
 والساعة وأنا أرهف السمع إلى هذه الأنشودة من المذيع ، أجد
 نفسى مضطراً الآن أسألك يا « خالدا » :
 أى مجد لاسم الله فى عالم طغت عليه المادة ، وتحكمت فيه الأهواء
 الشخصية ونزعات الشيطان ؟
 أى سلام ننشده لهذا العالم بالطمع والأنانية ؟
 أهو سلام إسرائيل والضالعين معها . وهم أعداء السلام ؟
 أية مسرة تغمر القلوب ؟
 أهى مسرة أفواج اللاجئين والأطفال المشردين ، والطبيعة القاسية
 فى خيام مهلهلة بالية ، بعيدين عن الوطن المغصوب الذى استباحه العelj ،

نائين عن اندار والأهل والسيار ؟

أه هي مسرة العائلات التي فقدت معيذها في ميادين الوغى والجهاد
ونسفت بيوتها ، وفقدت موارد رزقها ؟

في الواقع ليس هناك مجد ، و سلام ، و مسرة . ما لم يعد الحق إلى
نصابه . والوطن إلى أصحابه . وتقبلم أظافر الشر ، ويكبح جماح الظلم
والطغيان .

ورجائي ألا تصدق أن هناك « مجداً » و « سلاماً » و « مسرة » مادام
الباطل يسود الحق . والضلال يهيمن على الهدى ، والظلام يطغى على
النور .

٥٣

ألا تقاسمني الرأي يا « خالد » بأن « إنسان » اليوم صار أسوأ حالا من
« الحيوان » ؟

ألا توافقني على أن « إنسان » اليوم يعيش في دوامة من القلق
والاضطراب والتعس ؟

ولو فتشنا عن بواعث هذا القلق الذي يعيشه « إنسان » اليوم لوجدناه
كاملاً في البواعث التالية :

١ - اكفهار الجو الدولي الذي يشيع القلق في نفوس الشبان
والكهول .

- ٢ - الخروب التي يشتمها « إنسان » اليوم تقوى على أخيه « الإنسان »
الضعيف وإمعاذه في سفك الدماء .
- ٣ - ارتفاع نفقات العيش يوماً بعد يوم بسبب التقدم الاقتصادي .
- ٤ - الديون التي يستهدف لها رب البيت من جراء شراء الأدوات
المتزلية الحديثة والمجوهرات والسيارة .
- ٥ - ارتفاع الأقساط المدرسية في كافة مراحلها .
- وإذا تعمقنا في أبعاد هذا الشقاء الذي يعيشه « إنسان » اليوم
وجدنا مصدره هذه المدنية الحديثة التي أغرقت الناس بكمالياتها
فتضاعف همومهم وتضاعف قلقهم .
- والواقع يا بني أن نزوع الإنسان إلى «سائرة المدنية الحديثة وعزوفه
عن حياة البساطة . يفضيان به إلى هذا الشقاء . وعليه أن يدفع لهذه
المدنية المزيفة « ضريبة » باهظة يؤديها صاغراً . ورحم الله فوزي المعلوف
القائل :

ليت عمرانه تأخر أجيا لا فكل البلاء في عمرانه

٥٤

سرك جانب الإحسان في كتابي « فتح الله الصقال : الرائد الإنساني
الكبير » ، وزادك سروراً واعتزازاً بالمحسن الصقال وقفه الوقت والمال في
سبيل الفقير والإحسان إلى المحتاج .

ولأننى فبك حب الإحسان أود أن أضايعك بطريقة رواها القليوبى
أحد رؤساء العلماء فى مصر وهى :

جاء فقير إلى قاض فى يوم عاشوراء (وهو عيد من أعياد الشيعة)
وقال له : أعز الله القاضى ، إلى رجل فقير وذو عيال . وقد جئتكم
متشفعاً بهذا اليوم أن تعطبنى عشرة أمان (والمن شرعاً مائة وثلاثون مثقالاً)
لحمأ ودرهمين لأشبع أولادى فى هذا اليوم ، ولك الجزاء على الله .

فوعده القاضى إلى الظهر ، فلما جاء الظهر عاد إليه الفقير ،
فوعده إلى العصر ، فلما جاء العصر ، عاد إليه وأولاده فى المنزل
قد ذابت أكبادهم من الجوع ، فوعده إلى المغرب ، وعند الغروب
عاد إليه يسأل حاجته ، فقال له القاضى :
« ما عندى شىء أعطيكه » .

ورجع الفقير منكسر القلب دأى العين خائفاً من أطفاله وامراته
يفكر فى الجواب لدى سؤالهم عما جاءهم به .

وحدث أن مر وهو يبكى برجل نصرانى جالس على بابه فرآه
باكياً فقال له : لم بكائك يا هذا ؟

— لا تسأل عن حالى . .

— سألتك بالله إلا أعلمتنى بحالك .

فقص عليه الفقير ما وقع له مع القاضى ، وسأله النصرانى :

ما هذا اليوم عندكم ؟

— إنه يوم عاشوراء .

فرق له النصراني . واعطاء أكثر مما طلب من الخبز واللحم . وأعطاه فوق ذلك عشرين درهماً وقال له :

« خذ هذا وهو لك ولعِيالك في كل شهر » .

عاد الفقير فرحاً مسروراً يحمل لامراته وأطفاله الطعام . فلما أقبل عليهم مثقل الحمل . صاحوا بأعلى أصواتهم :

« اللهم أدخل على من أدخل علينا السرور . الفرح واليمن والبركة » .

ولما كان الليل نام القاضي فسمع هاتفاً يقول له :

« ارفع رأسك »

فرفع رأسه فإذا هو ينظر قصرين مبنيين لبنة من ذهب ولبنة من

فضة فقال :

« إلهي : لمن هذان القصران ؟ »

فأجيب :

« إلهما كانا لك لو قضيت حاجة الفقير ، فلما رددته صار إلى

النصراني فلان » .

فانتبه القاضي مرعوباً ينادى بالويل والثبور ، وقصد تَوّاً إلى النصراني

يسأله :

« ما فعلت البارحة من الخير ؟ »

— « ولم سؤالك ؟ » .

فقص عليه القاضي ما رأى وقال له :

« بعني هذا الجميل الذي فعلته البارحة مع الفقير بمائة ألف درهم » .

فأجابه المحسن :

« نخل عنك أيها التقاضى إني لا أبيع ذلك بملك الأرض ذهباً ،
لأن الحسنة لا تباع ولا تشتري » .

إن في هذه القصة يا . خالد . عظة لقوم يعقلون ... فأحسن إني الفقير
وساعد المعوز بطريقة مكتوبة . وحاذر أن يشعر إنسان بما تقدمه يمينك
سراً .

٥٥

أريد منك يا « خالد » أن تكثر من المطالعة ، وأن تحذر هدر
الوقت في الأمور التي لا تغني .

عليك يا « خالد » أن تقرأ وأنت في السيارة وفي الطائرة وفي القطار
حتى تظل متصلاً بالعالم وتكون ملمماً بتطور العلوم .

لا تقرأ الكتاب للتسلية وإزجاء الوقت ، بل اقرأه كغذاء لروحك
وعقلك وتفكيرك .

روت لي جدتك السيدة ماري صروف شحادة أن عم والدتك
الدكتور سليم شحادة كان يقرأ كل ليلة كتاباً ... وكان الأول في
صفوفه ولم يدفع فلساً واحداً لقاء دراسته الثانوية والجامعية ، بل تلقاها
مجاناً في الجامعة الأمريكية ببيروت وفي جامعة كورنيل بالولايات المتحدة
لأنه رجل ذكي مسلح بثقافة واسعة الجوانب والأبعاد .

فواصل القراءة . واقطع وقتك بالكتاب : وحاذر أن تمر ساعة
من وقتك ولم تستفد من المطالعة . ورحم الله القائل :
إذا مررت بيوم ولم أستفد يوماً
ولم أكتسب علماً فما ذاك من عمري !

٥٦

الحبيب « خالد »

جاء في الحكمة العربية أن العقرب سئلت مرة : لماذا تلدغين وأنت
لا تأكلين باللدغ . ولا تشربين . ولا تنتقمين ، إذ تلدغين البريء
المسكين ؟

فأجابت : « لأن الأذى طبعي » .

ورأت حمامة رجلاً مشرفاً على الغرق فألقت إليه بريشة لعله يستعين بها
على العوم فقيل لها : « وما فائدة هذه ؟ »

فأجابت : « هي كل ما أستطيع أن أفعله ، لأن النفع طبعي »

تتناهى إلى أنباء المساعدات التي تقدمها يا « خالد » سرا لمن قصدك
واستجار بك وشعورك مع المتخلفين في دروسهم ونصحك ذوي المشكلات
المعقدة ، فأغبط بأنبائك هذه وأزداد اعتزازاً بك

ورجائي يا ولدي أن تلقى يوماً لكل من استجار بك « ريشة » ،

لعله يستعين بها على العوم ... في خضم هذه الحياة

أتطلع إلى كل بقعة من بقاع العالم فأجدتها تعيش في اضطرابات
وثورات : الأمر الذي يحملني على الكفر بالبشرية الوالغة في الدماء :
والساعية إلى حتفها بظلمها .

ولو تسامت في البشر الثقافة الباطنية ، فكانوا أبطالا في المعتقد الذي
لا غبار عليه للحدس والظنون لإشفقوا إذن : على العمر القصير يقطعونه
على الأرض بالأذى والشرور : ولحملوا وجوه الحياة القبيحة : ورفعوا
بينهم ألوية العدل والحق والسلام : حتى إذا انتقلوا إلى الحياة الأخرى
حلموا بالأرض في السماء عوضاً عن أن يحلموا بالسماء على الأرض !

وما أسمى أخانا شفيق المعلوم شاعراً وهو ينشد في ملحمة « عبقر »

وما أنا في شعري سوى قلب مؤمن

أطل على الأحياء من جفن ملحد

سلكت سبيلاً قد أكون ضللتة وربة غاو بالغواية يهتدى

من عبث الأمور محاولة إصلاح هذا الكون الفاسد بأناسيه مادام

البشر عبيداً للدرهم والطمع والأنانية !

٥٨

أمس وقفت مشدوهاً حائراً أمام قصة حملتني على أن أتمنى إعادة
عقربي الساعة إلى الوراء لأعيش في زمن الصحابة ، وعلى الخصوص زمن
« أبي بكر » و « عمر » اللذين بلغا من العمل فوق حد الاعتدال .

اسمع يا « خالد » هذه القصة :

بعد أن ولى « أبو بكر » الخلافة أصبح وعلى ساعده ثياب قصد بها
السوق لبيعها ، فلقيه ، « عمر » فقال له :

— أين تريد ؟

— السوق .

— لتصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟

— لأطعم عيالي .

— هيا بنا إلى « أبي عبيدة » (و كان « أبو عبيدة » متولياً بيت

المال) .

فانطلقا إليه فخصص بأبي بكر قوت رجل من المهاجرين ، أى
فرض له مرتباً زهيداً . قبل « أبو بكر » هذا المرتب الزهيد شاكراً ،
وعاد إلى مقر الخلافة يصرف شئون عباد الله . أين هذا الزهد يا « خالد »
من إقبال بعض المسؤولين في العالم العربي على جمع المال وحشد الثروات ،
وملء الجيوب بالرشوات ؟

حبذا يا . خالد لو عاش أبوك في عصر . أبي بكر . وعمر . لأنه
 بقدس الأمانة ويمتقت أخيانة . ويبارك الاستقامة . ويلعن السحت
 والحرام .

٥٩

ما ذكر التاريخ أن العربى كان فى يوم من الأيام عنصر حقدا
 وإجرام ، إنما ذكر أن العربى عنصر خير ومحبة وسلام .

نشرت صحف هذا الصباح استفتاء نشر فى إسرائيل ينضح حقداً
 أسود على العرب . وقد تبين أن ٩٥ ٪ من الإسرائيليين يطالبون بإبادة
 عرب الأرض المحتلة إبادة تامة كاملة ... وأن ٥ ٪ طالبوا بوضعهم فى
 معسكرات الاعتقال .

لو ذهبنا نستقصى أسباب هذا الكره الأسود لوجدناه كامناً فى
 التربية العنصرية ، وفى المدارس الإسرائيلية ، وهى مدارس خاضعة
 لإشراف الحكومة والأحزاب الحاكمة وتوجيهاتها .

لقد كان معروفاً منذ زمن طويل أن مناهج التعليم فى إسرائيل
 مفعمة بالأفكار الصهيونية الجهنمية وبالحد العنصرى . ويسعى حكام
 تل أبيب ، خلفاء هتار فى العالم ، لكى يغرسوا فى نفوس شعبهم ،
 وبخاصة فى نفوس الشبان ، الحد والاحتقار ضد الشعب العربى ،
 تماماً كما يفعل حكام جنوب أفريقيا فى معاملة الزنوج ، وكما تفعل

الأقلية البيضاء الحاكمة في روديسيا ، والاستعمار البرتغالي ، وكما يفعل البيض في الولايات المتحدة ضد الترنوج الأمريكيين .

فكر في هذا التمييز العنصري وعد إلى سماحة الإسلام ومثالية النبي العربي الكريم القائل يوم خطب جموع المسلمين في حجة الوداع :
(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم) .

فليس لعربي على عجمي فضل ، ولا لعجمي على عربي فضل ، ولا لأسود على أبيض فضل ، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى .

٦٠

وقع في يدي كتاب قديم العهد من كتب الأدب الصفراء ، ووقفت على نبا أثار إعجابي بالسلف الصالح !
حكى أن فقيراً بمكة المكرمة قالت له زوجته الصالحة :
« ليس عندنا طعام » .

فخرج الفقير إلى الحرم ، فوجد كيساً فيه ألف دينار ، ففرح به فرحاً شديداً وسارع إلى زوجته وأخبرها بالأمر فقالت له :
« اخرج وفتش عن صاحب المال » .

فخرج الفقير وسمع صاحب المال يقول :

« من وجد كيساً فيه ألف دينار ؟ »

فقال الفقير :

« أنا وجدته »

فقال صاحب الكيس :

« هولك ومعه تسعة آلاف دينار . »

فقال الفقير :

« أتبرأني ؟ » .

فقال :

« لا والله ... لقد أعطاني رجل من أهل العراق عشرة آلاف دينار

وقال لي : اخرج منها ألفاً في الحرم . ثم ناد عليها . فإن ردها واجدها

فادفع له الجميع . لأنه أمين . والأمين يأكل ويتصدق . فتكون صدقتنا

مقبولة لأمانته . »

أين نحن يا « خالد » من أولئك الأمناء الذين يبالغون في الحرص

على الأمانة . ويغالون بالحفاظ . عليها وينفقون الوقت والجهد في سبيل

أدائها ؟

ألا رحم الله أيام زمان ... وسقياً لرجال زمان .. العامة قلوبهم

بالإيمان والحرص على أداء الأمانة .

٦١

هل تذكر حديث جدتك عن كتاب وضعه « فورد » الأول بعنوان :

« THE INTERNATIONAL JEW » ، وقد تناول فيه النفوذ اليهودي

وسيطرته على كل قطاع ... والغاية التي يهدف إليها من إفساد الضمائر وتدمير الأخلاق . وطمس معالم القيم الروحية . وبالتالي تفتيت نظام الأسرة .

وليتمكن اليهود من محاربة هذه القيم ودحرها أضرموا النار في نسخ هذا الكتاب . وزودوا العالم بأفلام تتسم بالخلاعة والحجون ، وتدعو إلى المباديل . وأغرقوا العالم بصحف تفيض أعمدتها بالرذيلة والصور الخليعة . لماذا كل هذا التخطيط يا ولدى ؟

لينسداوا العالم ويحكموه بالجنس والدولار .

أمس وقفت على كلمة قدم بها عباس محمود العقاد كتابه :

« بروتوكولات حكماء صهيون » تؤكد لك الرأي الذي ذهبت

إليه في هذه الرسالة .

اسمع قوله (العقاد) بارك الله روحه :

« إن أصبغاً من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمى إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان ... فاليهودي « دركيم » وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل أثرها في تطور الفضائل والآداب . واليهودي - أونصف اليهودي « سارتر » وراء الوجودية التي نشأت باسم تعزيز كرامة الفرد ثم جنحت إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات القنوط والانحلال .

وضع « شحور » حاخام إسبانيا الأول كتاباً وجهه إلى السنهروين

الكبير الذى كان مركزه إستانبول ، ومن النصايا التى وجهها للشعب اليهودى هذه الوصية :

« حاولوا أن يصير أولادكم محامين ، واهتموا بأن يتدخلوا دائماً بأمور الدولة . حتى متى تمكنتم من قبض زمام الحكم . تمكنتم من الاستيلاء على العالم والانتقام منهم . »

يا لهول ما أقرأ يا ولدى !
ويا للفراسة من صاح يوماً بأعلى صوته :
« اليهود طاعون البشرية الفتاك » .

٦٢

أمس حدثتك عن النفوذ الصهيونى وانتشاره فى كافة أنحاء المعمورة ، ورويت لك ما فعله اليهود بكتاب « فورد » .

واليوم وقفت على البيان الذى ألقاه بنيامين فرانكلين ، العالم والمؤلف السياسى الأمريكى الكبير ، وهو يعد من أبرز رجال الفكر فى القرن الثامن عشر ، على الأمريكين فى سنة ١٧٨٩ فى موضوع الهجرة اليهودية إلى الولايات المتحدة فى ذلك الوقت .

وهذا البيان المحفوظ فى «معهد فرانكلين بفيلا دلفيا» ولاية بنسلفانيا—
يمكن أن يعد نبوءة عن الخطر الصهيونى الذى يهدد الشرق الأوسط وأمريكا نفسها والعالم بعد حوالى ٢٠٠ سنة من ذلك التصريح .

فى يوم من أيام عام ١٧٨٩ عقد فى كارولينا الجنوبية مؤتمر وطنى ،
فأدلى الأمريكى الشريف بنيا مين فرانكلين بالبيان التالى :

« إن هناك خطراً جسيماً يهدد الولايات المتحدة . هذا الخطر الجسيم
هو اليهود . فى كل بلد حل فيه اليهود عملوا على الهبوط بالمستوى
الخلقى ودرجة الأمانة التجارية . وقد ظلوا دائماً جزءاً مضطهداً لا يندمج
فى الوطن الذى يعيشون فيه ، وهم يحاولون خنق الأمم مالياً كما فعلوا
فى البرتغال وإسبانيا .

« وما برحوا أكثر من ١٧٠٠ سنة يندبون حظهم السيئ بدعوى
أنهم طردوا من وطنهم . ولكن أيها السادة إذا أعطاهم العالم المتمدن
اليوم فلسطين ، فسوف يجدون أعذاراً قوية لعدم العودة إليها .

لماذا ؟ لأنهم مصاصو دماء ، ومصاصو الدماء لا يمكنهم العيش
على مصاصى دماء . إنهم لا يستطيعون العيش فيما بينهم ، بل يجب
أن يعيشوا على المسيحيين أو غيرهم ممن لا ينتمون إلى عنصرهم .

« وإذا لم يستبعد اليهود من أمريكا دستوريا على مدى مائة سنة
على الأكثر ، فسوف يتدفقون على هذه البلاد بأعداد كبيرة تطوع لهم
حكمنا وتدميرنا بتغيير نظام حكومتنا الذى بذلنا نحن الأمريكيين ،
دماءنا وضحينا بأرواحنا وممتلكاتنا وحریاتنا الشخصية فى سبيله .
وإذا لم يستبعد اليهود خلال ٢٠٠ سنة ، فإن أبناءنا سوف يعملون فى
الحقول لإطعامهم ، فى حين يرابطون هم فى بيوت المحاسبة يفركون
أيديهم فرحين .

« إني أحذركم أيها السادة : إذا لم تقصوا اليهود عن هذه البلاد إلى الأبد فإن أبناءكم وأبناء أبنائكم سوف يلعنونكم في قبوركم ، إن مثلهم العليا ليست مثلنا ، وحتى لو عاشوا بيننا أجيالا فلن يتغيروا ، كما لا يستطيع الفهد أن يغير بقع جلده ، إنهم سيقضون على معاهدنا ، فيجب إقصاؤهم بحكم الدستور » .

لعل أهل العقول من الأمريكيين بعد هذه المصارحة من أمريكي نبيل غيور على وطنه يصحون من غفوتهم الدهرية السرمدية .

٦٣

في رسائل سابقة ألمحت إلى وجود عناصر يتجسد فيها الخير والمحبة والسلام في هذا العالم ... حتى بين اليهود أعدائنا .
وأمس قرأت كلمة في جريدة « فايننشال تايمز » بقلم السيد بيليتش قال فيها :

« إن العرب يشعرون بأسى عميق إذ يرون أن أراضيهم تنزع منهم لإسكان النازحين من ذوى الإجرام الأوربي . لقد سمح للتشكوسلوفاكين بإخراج الألمان من أرض السويد ، ومنح البولنديون أرضاً ألمانية سابقة ، أما اليهود فقد أطلقت يدهم لسلب العرب أرض فلسطين ، لماذا ؟

ما الذى جناه العرب ليستحقوا مثل هذه المعاملة الفاحشة ؟ »

هل كنت تقرأ يا « خالد » قبل انتظام حركة الفدائيين العرب

تصريحاً مثل هذا التصريح بقلم أوربي؟

سوف تقرأ أكثر من هذا بعد أن تعم الحركة الفدائية كل شبر في فلسطين المحتلة . عندها تكثر الأقلام الحرة وينتصر الحق على الباطل .

ولابد للحقيقة في النهاية من أن تنتصر بأصدقائها ، وبالمؤمنين بها ، وحاملي لوائها .

٦٤

روى لي شاب فلسطيني قادم من الأرض المحتلة أن إسرائيل تعتمد إلى تجويع الطلاب العرب وحرمانهم تلقى العلم إلا في حدود الشهادة الابتدائية ، وتحويلهم على الصناعات والمهن ، كالتجارة والحدادة و(الشوفرة) .

سمعت هذا ورحت أستقصي البواعث والأسباب التي حملت الشاب الجريء سرحان بشاره سرحان ، النازح عن وطنه بالنبوت ، على اغتيال روبرت كندى ، ولدفاعه عن إسرائيل ضد العرب في خطاب انتخابي .

وبعد طواف ذهني خرجت بنتيجة واحدة هي أن المعاملة اللاإنسانية التي يلقاها العرب الفلسطينيون ، والتي تتنافى مع أبسط قواعد حقوق الإنسان ، تحمل العربي على الكفر بالمثل العليا ، وغسل اليدين من كل فضيلة ، لأن الغرب واقف وقفة الاستخذاء من إسرائيل

الرامية إلى إذلال العرب والسيطرة على مرافق رزقيهم .
وما لم يصعد العرب نضالهم فستحقق إسرائيل أهدافها الحبيثة .
لا قدر الله .

٦٥

من المفارقات التي أثارت دهشتي وذهولي التناقض الملحوظ بين
يوم ... وآخر .

فقبل عام كان بعض ساسة الغرب وصحفيهم يصنفون الفدائيين
العرب بالوحوش ... البرابرة ... قطاع الطريق ؛ ولكن سرعان ما غير
هؤلاء الصحفيون والساسة نظرهم إلى أولئك الفدائيين ؛ فوصفوا حر كتمهم
بأنها حق مشروع لاسترداد وطن مسلوب .

في مطلع عام ١٩٦٩ زار لبنان جورج غروس ، وزير الأنباء
الفرنسي السابق ، وأحد كبار الاختصاصيين بشئون الشرق الأوسط ،
وكان أول تصريح أفضى به : « أن المقاومة الفلسطينية أصبحت الآن
تشكل قوة متفجرة بحيث ستتمكن في المستقبل من منع الدول العربية
من تقديم أية تنازلات في سبيل التوصل إلى تسوية سلمية » .

وأضاف غروس يقول :

« إن الفلسطينيين أصبحوا يشكلون قوة سياسية كبيرة من الصعب
تطويقها ، وفضلا عن ذلك هي قادرة على الحركة ومعارضة الأنظمة

العربية . بالإضافة إلى مقدرتها على وضع الشرق الأوسط في وضع ثوري .

خصصت الإذاعة الفرنسية في باريس ساعتين لشرح حقيقة أحداث الشرق الأوسط . وتحدث في هذا البرنامج ديفيد روسيه النائب النديغور الذي صرح بأن موقف رجال المقاومة الفلسطينية مشابه لموقف أعضاء حركة المقاومة السرية الفرنسية ضد الاحتلال النازي خلال سنوات الحرب العالمية الثانية .

وتحدث جاك بيرك المستشرق اليهودي الفرنسي في برنامج « المائدة المستديرة » التلفزيوني . فأشار إلى الحق التاريخي للعرب في فلسطين والذي يرجع عنده إلى ثلاثة عشر قرناً .

أرأيت يا « خالد » السحر الذي تصنعه قوة المدفع ؟
أرأيت كيف ينظر الناس إلى القوى ويمجدونه ، مادام متمنطقاً بالصاروخ والقنبلة ؟

ردد معي يا « خالد » قول « الشاعر القروي » في قصيدته « عيد الفطر صياماً إلى أن يفطر السيف بالدم وصمتاً إلى أن يصدق الحق يافى

أبرزت صحف العالم أن عدداً من الطلاب البريطانيين س يرتدون ملابس عربية تقليدية عشية عيد الميلاد ، ويمرون في عربة تجرها

جيات في منطقة الخوانيت الرئيسية في لندن ، بجمع التبرعات للاجئين الفلسطينيين ، وسيوزع هؤلاء الطلاب نحو عشرة آلاف منشور على طول الطريق الممتد من ساحة أوكسفورد إلى محطة مول .

وأضافت البرقيات العالمية أنهم استأجروا حصاناً وعربة لهذا الغرض ، حيث يركب سبعة من الطلاب الراشدين وخمسة من الأولاد العربية التي ستسير بهم عبر الشوارع .

وسيقوم ٢١ طالباً بتوزيع منشورات تصور الحالة السائدة في مخيمات اللاجئين خلال فصل الشتاء . وتذكر المنشورات أن ٤٠٠ ولد فلسطيني توفوا لإصابتهم بالتهاب رئوي خلال عيد الميلاد الماضي ، وخلال عيد الميلاد هذا سيقام مليونان من الفلسطينيين الآلام نفسها .
هذه خلاصة المسيرة الطلابية .

ولو كانت لي دالة هؤلاء الطلاب المهذبين لقلت لهم :
« اغزوا داوننغ ستريت ، فمقر رئاسة الوزراء ، وقولوا للمسؤولين هناك :

« أنتم رأس الداء وأصل البلاء » .

يذكرني الحديث الذي سقته إليك في هذه الرسالة بقول الشاعر

العربي :

وكن كذباح العصافير دائماً وعيناه من وجد عليهن تهمل

فلا تنظري « ليلي » إلى العين وانظري

إلى الكف ماذا بالعصافير تفعل ؟

٦٧

من أغلى أمانتي وأشهاها أن أراك تحمل شهادة جامعية عالية ، وتؤسس
أسرة وتختار شريكة حياتك .

وشريكة الحياة التي أتمناها لك هي أن تكون عربية ، تشعر شعورك
وتحس حسك . ولعلك ذاكر أمنية وديع الصافي لابنه في أغنيته الشهيرة
ومطلعها :

الله يرضى عليك يا إبنى ظهري انكسر والهم ذو بنى
نخذ « ليلي » بن ضيعتنا بترتاح معها وما بتتعبنى
يا ابنى عاد رب الخير عم يهديك الله يرضى عليك يا إبنى
ولعلك ذاكر كذلك أبيات « الشاعر القروي » عندما تحببت إليه
فتاة إنكليزية اسمها « مود » . وعرضت عليه الاقتران بها ، لكنه لم يستجب
لهذا العرض ، للكره المستحكم بين قومه وقومها :

ولو لم تكونى فرنجية لكنت سعادى قبل سعاد
ولكننى عربى المنى عربى الهوى عربى الفؤاد
لعمرك يا « مود » لولا ذورك لما ميز الحب بين العباد
ولا أكرهوا شاعراً أن يقول هذى البلاد ، وتلك البلاد
فهم أوغروا بالعداء الصدور وهم أضرموا النار تحت الرماد
فلا تعذلى شاعراً زاهداً وكم هام بالحب فى كل واد

فإني حرام على هؤلاء وفي وضي صيحة تنجيات
 فأحذر يا بني الفتاة الأجنبية ، إذا كنت تشد الراحة وتسمد
 السعادة ، واذكر المثل العامي : « زوان بلادك ولا قميح الغريب » .
 المثل العامي : « زوان بلادك ولا قميح الغريب » .

٦٨

أكدت في مطالعاتي واستقراآتي أن العربي إنسان وديع مسلم مادمت
 لم تؤذه ، لكنه أنوف عيوف في دفع الضيم ، وصد عوادي الظلم ...
 طالعت اليوم تصريحاً للمناضل الشريف سرحان بشارة سرحان ،
 وقد أفضى به من زنارته في سجن لوس أنجلس جاء فيه :
 « إن العالم كله عنف وفوضى وتلاقل ... ما الذي حصل الأيام
 الحلوة ... أيام السلام والهدوء ؟ » .

تصور يا ولدي هذا الشاب النيل يتحسر وهو راسف بأغلاله
 على حياة الهدوء والطمأنينة والاستقرار ... يتساءل وهو يحاكم بتهمة
 قتل روبرت كندی ، عن الأيام الحلوة التي عاشها الناس بمحبة وإخاء
 وسلام !

ولو فتش « سرحان » عن أسباب هذا القلق الذي يسود العالم
 لوجده في الأنانية والسيطرة وحب الذات .

٦٩

سأل مسافر شاباً يرعى غنماً . عليه أمارات الذكاء :

« ما أثقل من السموات »

فأجابه الشاب :

« البهتان على البريء من فم كاذب جرىء » .

ذكرت هذا الجواب البليغ بعد أن ودعتك في بيروت وعدت إلى

عمان ، فزارني صديق معاتباً على أمر لم أجترحه ... واسمع الحكاية :

روى « أحدهم » لصديقي الزائر أنه شاهدني وإياك على ضفاف

البردوني . فخف للقائنا ، والترحيب بنا ودعوتنا إلى « مزة » معه ،

لكنني تجاهلت ذلك « الوجه » الهش البش ... ولم ألق عليه تحية المساء .

بعد هذه « الرواية » الملفقة لم أقسم لصديقي المعاتب بالثالث

الأقدس ... ولم أنف « الرواية » ... بل ضحكت ... ورويت له

جواب الشاب الراعي : « البهتان على البريء ، من فم كاذب جرىء » .

٧٠

أمس إقرأت مقالا للناقد اللاذع « برناردشو » جاء في ختامه :

« يقولون إنني كاتب ساخر ... ولكن لم تبلغني السخرية حداً

يجعلنى أذهب إلى الولايات المتحدة . . . وأشهد تمثال الحرية على بابها .
بعد هذا القول الجريء . . . هل تصدق أن الولايات المتحدة هي
مهده الحرية ولديمقراطية ؟

قل : « كلا » وأنشدهم قول الشاعر محمد الأسمر :
قل لمن يدعون فضلاً على لنا من أرونا فضائل الفضلاء
إن منها ألا تكونوا ضغاة بل تكونوا للناس كالأباء
إن منها ألا تكونوا قساة بل تكونوا فيهم من الرحماء
إن منها أن تجعلوا العلم نعمة لا سبيل للبأساء والضراء
رب ؛ عم الفساد والشرفايعث للورى مصلحاً من الصلحاء
ترحم يا « خالد » على أعداء الحرية والديمقراطية . . . وأنشدهم قول
« شوقي » :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتماً وعويلاً !

٧١

أرجع أن دروسك تحول دون مطالعتك الصحف اليومية للوقوف
على حركة الاعتصام النسائية التي شملت كل بلد عربي .
فأمس كان يوم تضامن النسوة العربيات مع شقيقاتهن المرأة العربية
الفلسطينية المناضلة ضد بربرية العدو ووحشيته في الأراضي العربية المحتلة .
ولقد أضافت السيدات العربيات إلى الاعتصام . . . الصيام عن

الطعام . . . والقيام بحملة تبرعات لشراء الثياب والأغذية لأبناء الوطن المسلوب .

لم تكن هذه الظاهرة معروفة في العالم العربي من قبل ولكن بعد أن شمل الوعي القومي دنيا العرب . وهزها على الدقمة الصهيونية أفاق العرب من سباتهم العميق . . . وقدروا ما يبته اليهودي التائه من شر وعدوان للوطن العربي .

من الكلمات التي أثارت شجني وأكدت لي أن العرب أينما كانوا سيعون مدى الخطر الصهيوني . وسيكافحونه بجميع الوسائل : كلمة السيدة نجلاء صعب رئيسة المجلس النسائي اللبناني ، وقد أضفت جواً إنسانياً مؤثراً على قاعة الاعتصام في مبنى اليونسكو ببيروت .

استمع يا « خالد » ما قالته هذه السيدة الواعية :

« إن هذا اليوم هو يوم حداد على القيم الإنسانية والأخلاقية التي انتهكها العدو الإسرائيلي بمعاملته الوحشية والبربرية لأخواتنا وإخواننا العرب في فلسطين المحتلة .

إن الاعتصام اليوم هو تعبير عن استنكار ما يجري من تعسف وظلم ضد أخواتنا وإخوتنا الذين يسامون العذاب والاضطهاد في الأراضي المحتلة .

إن اجتماعنا هنا هو لتأكيد التضامن والتساند بين أخوات النساء في جميع الدول العربية للذود عن الحق ومناهضة الباطل .

إن اعتصام المرأة العربية اليوم في كل البلاد العربية هو احتجاج

على أنظم ندى وقع على العرب نتيجة عدوان ه حزيران (يونية)
ويقع اليوم على المرأة العربية في الأراضي المحتلة نتيجة رفضها للاحتلال .
كلنا ندرك إلى أي مدى تصل نوايا إسرائيل العدوانية ضد البلاد
العربية . و كلنا نعلم كيف تمارس السلطات الإسرائيلية عمليات القتل
الجماعي والتعذيب البربري .

إنه لمن العيب في القرن العشرين . وفي سنة حقوق الإنسان ،
أن يصل مستوى الظلم إلى ما وصل إليه في الأراضي المحتلة .
أين الضمير العالمي ؟ ولماذا لا يتحرك لهذه المأساة الإنسانية المحجلة ؟
عندما تكون القضية متعلقة بصهيوني واحد تقوم الدنيا ولا تقعد ...
ولكن عندما تكون القضية قضية شعب بكامله ... يضطهد ويعذب
ويشرد . فلا أحد يتحرك .

هذه الروح العالية يا « خالد » لم يكن للبلاد العربية عهد بها من قبل
لكن بعد الخامس من حزيران « يونية » ١٩٦٧ تصاعدت هذه الروح العالية
في كل قطر عربي ، والأمل بالله أنها ستتصاعد ... وتشتد ... وتقوى
لأن المصيبة تجمع .

اليوم سمعت من الإذاعة السعودية كلمة للأمير سلمان بن عبد العزيز
رئيس اللجنة الشعبية في الرياض ، دعا فيها الشباب السعودي إلى جمع

التبرعات لفلسطين : والتطوع إلى الجهاد في سبيل أظلم قضية عرفها التاريخ . وحذر من أضلاع الصهيونية بالوطن العربي . وقال الأمير في كلمته :

« فمن أخذ القدس اليوم يأخذ المدينة المنورة غداً إذا تهاونا في التطوع للجهاد أو التبرع بالمال . فالريال يتحول إلى قذيفة » .
هذا الكلام الحميل لم نكن نسمعه قبل النكبة الفلسطينية الثانية .
وإذا رحنا نحلل أسباب هذه المصارحة وجدناها كامنة في القضية الفلسطينية التي هزت العرب هزاً عنيفاً ، ونبتهم إلى ما يبسته لهم العدو من شر ومكر .

حقا يا « خالد » إن للقضية الفلسطينية وجهين هما :

(أ) الوجه الأبيض ،

(ب) الوجه الأسود .

والوجه الأبيض ينطوى على توعية العرب للمصير الأسود الذي ينتظرهم إذا ظلوا سادريين في هجمتهم ، موغلين في غفوتهم .
فلنستبشر خيراً يا ولدي مادام الوعي القومي قد شمل العالم العربي ،
وهذه إلى هذا المدى البعيد .

٧٣

بعد الخامس من حزيران (يونية) ١٩٦٧ ألحظ ظاهرة عجيبة تسود
العالم العربي وتدعو إلى الاعتزاز والفخر ، وهذه الظاهرة لم يكن للعرب
عهد بها من قبل .

قرأت أمس هذا الخبر في مجلة عربية أسبوعية :

« تطوع الحاج محمد شيباني ، رجل الأعمال الليبي للإنفاق على
عشرين طالباً جامعياً فلسطينياً في أوروبا حتى ينهوا دراستهم » .
هل حظيت فلسطين قبل نكبتها الأولى والثانية بمثل هؤلاء الجنود
المتطوعين ؟

وهل حظيت فلسطين قبل نكبتها بمثل هذا الدعم الحاضر ؟
وهل بلغ الوعي القومي مثل ما بلغه في العهد الحاضر ؟
أبشر يا « خالد » أنت وأبناء جيلك بمستقبل زاهر باهر ، وثق
أن أمة فيها مثل هؤلاء الأسخياء الأوفياء ستخلد .

٧٤

في رسالتين سابقتين ألمعت إلى مدى الوعي القومي الذي شمل
العالم العربي ، وكان سببه قضية فلسطين وتشريد عربها ، وما يبيت

لها وخم من اعتداءات جهنمية .

وهناك قصة وقعت أمس مع الآنسة المهندبة باسمه حمارة كريمة الدكتور الواعي كامل حمارة :

دخل فدائي فلسطيني عيادة الدكتور حمارة بعمان تصحبه الآنسة « باسمه » ويتواضع وبعبارات مهذبة قال الشاب الفلسطيني للدكتور حمارة : « كريمةكم هذه تريد التبرع للحركة الفدائية بثلاث أساور ذهبية . وقد أكدت على أخذها بإلحاح شديد . قدرنا لها عواطفها النبيلة . لكن بحكم سنّها . ولأننا لا نقبل التبرع بالحلى سألناها الاجتماع بولي أمرها ومن أجل هذا جئت لمقابلتك » .

أجاب الوالد المثالي :

« كما تشاء سأحتفظ بالأساور الثلاث لابنتي : وأدفع لك غداً بمئتها نقداً » .

شكر الفدائي الشاب للدكتور حمارة مروءته ، واعتذر عن احتمال عدم مجيئه في اليوم التالي ، إذ ربما يكون في مهمة بعيدة .
ربما أراد الشاب إنهاء الأمر على هذا الوجه ... لكن عمك الدكتور حمارة أصر ، وإذا كان الشاب مشغولاً بمهمة فليتفضل غيره بالمجيء إلى العيادة .

وهنا تدخلت الآنسة باسمه وقالت لوالدها :

« ... غير أن هذا يكون تبرعاً منك وأنا التي أريد التبرع . تدفع

أنت النقود .. وأتقدم أنا بالأساور التي اشتريتها مما ادخرته من مصروفي ..

مد الطبيب الواعي يده إلى جيبه ، وأخذ مبلغاً لقاء الأساور الثلاث وشفعه بمبلغ آخر تبرعاً منه ... لكن « باسمه » رفضت إلا التبرع بالأساور الثلاث للشباب القدائي مرة ثانية .

أبعد هذا الوعي في شاباتنا وشبابنا تدعى إسرائيل أنها ستحطم الإرادة العربية ... ؟ ألا طاش سهمها ! فالتضحيات تتوالى ترى على مذبح القضية الكبرى ... حتى نظفر بالحق المغصوب ونعيد للعربي كرامته .

٧٥

مازالت الدنيا عامرة بالخير ، ومازال فيها أناس شرفاء عدول يشجبون الظلم ، ويدعمون الحق ، ويناصرون الحق والضعيف .

أمس قرأت تصريحاً لداعية هندي للقضية الفلسطينية زار الأردن حديثاً ، وقد جاء في تصريحه :

« صحيح أنني لم أولد عربياً ، ولا أحمل الجنسية العربية ، ولكنني أعتبر أن القضية الفلسطينية قضيتي الأساسية ، ومن أجل نصرتها وقفت جهدي » .

والداعية الهندية هذا هو الدكتور كينوار سينغ رئيس مجلس السلام الدولي لطلبة الهند ، ورئيس الجمعية الآسيوية الأفريقية في جامعة لندن .

ومن تصريحات نصيرنا الهندي قوله :

لقد نجولت في أنحاء أوربا . وفي الكثير من أقطار العالم . وألقيت الكثير من المحاضرات عن القضية الفلسطينية . وأستطيع أن أقول : « إن هذه القضية بدأت تجد طريقها إلى عقول الشعوب الأوربية . وذلك كنتيجة حتمية وطبيعية للنضال الذي يخوضه الشعب الفلسطيني من أجل تحرير بلاده . والدفاع عن وجوده القومي في وجه أشرس أنواع العنصرية والاضطهاد » .

والمعروف أن الدكتور كينوار سينغ حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة لندن . وكان عنوان « الأطروحة » التي قدمها « فلسطين » ؛ وفي الدراسة التي أعدها شرح تاريخ القضية العربية الفلسطينية وتطوراتها وباطل الوجود الصهيوني في فلسطين .

أعود إلى تكرار ما قلت في مستهل رسالتي إليك :

« مازالت الدنيا عامرة بالخير ، ومازال فيها أناس شرفاء عدول » .

٧٦

تسألني رأيي في الشعر الحديث ، وجواباً عن سؤالك هذا تحضرني كلمتان تترجمان رأيي ، وتنطويان على الجواب الشافي :

الأولى لعملاق الأدب العربي المرحوم عباس محمود العقاد وفيها

يقول :

الشعر الحديث كافة ليس شعراً على الإطلاق . إذ تنقصه
الموسيقى والوزن . والشعر وزن قبل كل شيء . ونوزن قاعدة فلا حساب
من يهدم فن الشعر .

ونحن العقاد كلمته بتكرار عبارة :

الشعر وزن قبل كل شيء . والوزن قاعدة .

والكلمة الثانية للشاعر القمروى وفيها يقول :

، فهذا الشعر الذى يروجون له اليوم إن هو إلا صورة خنافسية
بيتنزية مشوهة للنفس . ولسوء الحظ نرى أن هذه الأقيسة الغربية المسيخة
قد ألت بسائر الفنون الجميلة من موسيقى ورسم ورقص . حتى لا يسع
متبني العقيدة الذين لم تزلهم الكوارث إلا أن يقفوا موقف المتفرج من
هذه المأساة ، يضحكون طوراً . ويتجهمون طوراً . ويكون طوراً .

٧٧

علمت ولا شك بأن هيئة المحلفين فى قضية المارد العربى سرحان
بشارة سرحان قررت إنزال عقوبة الإعدام بهذا البطل العربى فى غرفة
الغاز .

أغلب الظن أن الولايات المتحدة بتحريض من الصهيونية العالمية
ستنزل عقوبة الموت بالشباب العربى تحدياً منها للعالم العربى ، ولعلك
توافقنى على أن سرحان « القتاتل » وروبرت كيندى « القاتل » كلاهما

ضحية للصهيونية . وفي يقيني أن قرار هيئة المحلفين هذا يشكل إهانة أمريكية « جديدة » للعالم العربي بأجمعه .

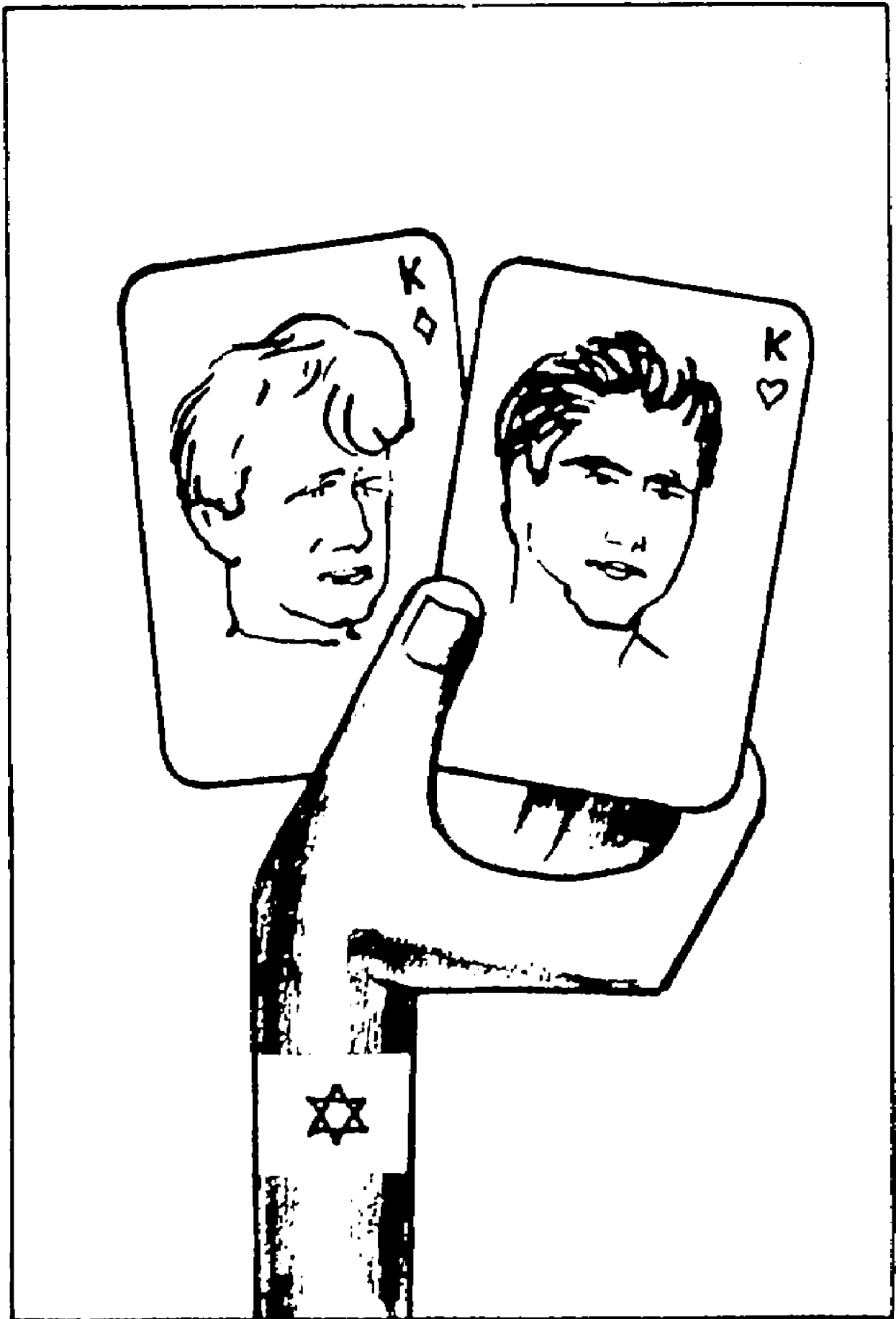
تري متى يستفيق هذا العالم العربي « الدائح » ويقف موقف الجدل والرجولة من الولايات المتحدة وبريطانيا اللتين كانتا السبب في ضياع فلسطين وتشريد أهلها وتهويد أرضها ؟

متى يستفيق هذا العالم المتفسخ من هجمته ؟
متى ؟

٧٨

وقفت الساعة معجباً أمام رسالة المربي الكبير خليل السكاكيني إلى وحيد « سرى » يوم كان يطلب العلم في الولايات المتحدة . وتقديراً للأفكار النيرة التي حفلت بها هذه الرسالة السكاكينية أثرت نقلها إليك . وفضلي في هذا أننى ناقل ورسول :

« لا أحب يا ” سرى “ أن يكون الناس طبقات ، ولكن إذا لم يكن بدءاً من أن تكون هناك طبقات فإنى أعيذك أن ترضى أن تكون إلا في الطبقة العليا . لا تنتظر إلى الناس من عل ، ولكن لتسعى إلى إنهاض الإنسانية والأخذ بيدها إلى الذروة العليا . لا أحب أن يكون هناك متقدمون ومتأخرون ، ولكن إذا لم يكن من أن نسير في قافلة الإنسانية فإنى أعيذك أن ترضى أن تمشي إلا في الطليعة ، لا لتزهي



ولعلك توافقني على أن سرحان (القاتل) وروبرت كندی (القتيل) كلاهما
ضحية للصهيونية

بنفسك ولكن لتكون قدوة صالحة لغيرك . . لا أحب أن تختلف حضوظ
الناس . فهذا حظه وافر . وهذا حظه خسيس . ولكن إذا لم يكن بد
من أن تختلف الحضوظ فإني أعيذك أن ترضى بالنصيب الأخرس لا شرهاً
فإن انتروخ إلى المعاني عن شره دناءة . وإن كان في ظاهره تعالىاً .
ولكن لتسعد وتسعد غيرك .

أكتفى بهذا القدر يا خالداً . وأرجو أن تركز على العبارة التالية :
« ولكن إذا لم يكن بد من أن تكون هناك طبقات فإني أعيذك أن
ترضى أن تكون إلا في الطبقة العليا » .
« لاشك يا خالداً » في أنك نزاع إلى أسمى المطالب . وأنتك تحب
من الأمور ما كان نبيلاً جليلاً .

٧٩

ما زالت الدنيا بخير . . وما زال في بعض زواياها بعض الخير . .
وبعض الشرفاء المنصفين .

أمس ألقى السفير البريطاني في بيروت محاضرة في « جمعية العلوم
السياسية » وقال : إن المؤرخين في المستقبل سيسجلون أخطاء كبرى على
بريطانيا . وأكد أن « وعد بلفور » كان في عداد تلك الأخطاء
الكبرى .

ومضى السفير يقول :

« إنه من الصعب التصور أنه كان في مقدور الذين صاغوا وعد " بلفور " أن يصدروه لو استطاعوا التكهّن بعواقبه » .

« لقد أدى هذا الوعد إلى إراقة الدماء وإشاعة الفوضى في فلسطين على شكل تصاعدي . وبعد ثلاثين عاماً . عندما تخلت بريطانيا عن الانتداب . وقعت الحرب التي شملت أوزارها إنزال ظلم فادح بشعب فلسطين وإلى حرب أخرى عام ١٩٥٦ وإلى حرب ثالثة بعد سنوات » .
رحم الله خليل السكاكيني يوم قال :

« بريطانيا . بريطانيا . أنت أصل البلاء ! ليتنا لم نعرفك ولم نعرفنا . لم يكفنا الاستعمار حتى زدتنا بوعد بلفور . إنه لعار عليك أن تكوني مستعمرة . ولعار عليك أن تكوني في سياستك خاضعة لليهود » .

ستقرأ يا « خالد » ذات يوم ربما يكون قريباً ... وربما يكون بعيداً ... أن كاتباً إنكليزياً شريفاً انتضى قلمه . وصب جام النعمة والعار على حكومته . لأنها تبرعت بـ « وعد » لا يقوم على المنطق ، وسخت ببلاد ليست لها .

ألم يقل كاتب أمريكي حكمة سقتها إليك في إحدى رسائله :
« إن الرجل الإنكليزي كريم بطبعه ... وقد يبلغ به السخاء أن يمنحك القميص الوحيد ... الذي يرتديه جاره » .

في الحرب العالمية الثانية أقام الجنرال ديغول بعض الوقت في لبنان
و ذات يوم حمل شاب لبناني طبقاً من البرتقال « المقشر » وقدمه للجنرال
وللضباط الأحرار الذين كانوا معه في حديقة الدار . فشد الضباط أيديهم
إلى البرتقال « المقشر » . وامتنع ديغول عن مديده إلى طبق البرتقال .
ولما سأله الشاب اللبناني عن سر امتناعه ... قفز إلى شجرة برتقال
وقطف حبة منها وشرع يقشرها بيده وهو يقول :

« هكذا نأكل البرتقال بأيدينا ... فنخدم أنفسنا ... ونشعر باللذة » .

هلا تذكرت قول الطغرائي :

وإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على أحد

وأكثر من هذا ... هلا تذكرت قول الإمام الشافعي :

« لو علمت أن الماء البارد يشلم مروءتي ... ما شربته إلا حاراً حتى

أفارق الحياة » .

هذا لون من ألوان عظمة الرجال الأفذاذ .

٨١

تذكر يا ، خالد ، رواد الفضاء نيل أرمسترونغ ومايكل كولينز
 وأدوين ألدرين الذين غزوا الفضاء بعربة الفضاء أبولو - ١١ .
 في صيف ١٩٦٩ . وكيف وضع الأولان أقدامهما على صدغ القمر .
 بعد عودة هؤلاء الرواد الثلاثة إلى مدينة هوستون بولاية تكساس .
 أودعوا محجرا محديا أمضوا فيه ثلاثة أسابيع . ووضع لكل منهم في غرفة
 نومه جهاز هاتفي . وقيل لهم من أراد إجراء اتصال هاتفي له علاقة بالعمل
 الرسمي فلن يدفع أجره لذلك الاتصال . ومن أراد إجراء اتصال هاتفي
 له صفة خاصة فسيُدفع أجره لذلك الاتصال .

قارن هذا الترتيب المنطقي بالترتيب المعمول به في وطنك يبد لك
 الفارق بعيداً . فالمسؤول عندنا يستغل وظيفته . ويؤمن اتصالاته الهاتفية
 الخاصة مجاناً غير مبال بالمصلحة العامة .

إن مشكلتنا يا ولدي مشكلة أخلاقية قبل أن تكون مشكلة سياسية .

٨٢

ظهيرة اليوم أرهفت السمع إلى نشرة الأخبار من لندن . فوقفت
مشدوهاً أمام النبأ التالى :

« قرر الأمير شارلس ولى عهد بريطانيا وأمير ويلز التبرع بنصف
دخله الشخصى من عقاراته فى دوقية كورونوال للخزانة البريטانية .
قلت فى نفسى :

« هكذا فليكن الحكام محلقيى فوق المادة .

« وهكذا فليشعر المسؤلون مع شعوبهم » .

كم تمنيت يا « خالد » أن أكون مسؤل ولا لسنة واحدة . لأعطى حكامنا
ومسؤلينا صورة لما ينبغى أن يكون عليه الحاكم الفاضل العادل فى رعاية
شعبه والبر به والعطف عليه .

٨٣

« العرق دساس » .

هكذا قالت العرب فى حكمها وأمثالها .

تعلم يا « خالد » أن « أبا إيبان » (وزير خارجية إسرائيل) هو من
مواليد جنوب أفريقيا . ومن خريجي جامعة كامبردج .

وتستخدمه السلطات الإسرائيلية ناطقاً رسمياً باسمها في الشؤون الخارجية .

هذا الرجل المتعلم في جامعة بريطانية شهيرة يقول :
« إن العرب في غضبتهم على حرق المسجد الأقصى يعودون إلى القرون الوسطى » .

إذا كان (أبا إيبان) مثقفاً حقاً ... فإنه يعلم أن أزهى حضارات القرون الوسطى كانت عربية . ويعلم أن عصابته تعود بادعاءاتها إلى ألفي سنة . حينما كانت الجماعة اليهودية ١٢ قبيلة ... تأتية هنا ... وهناك .

تلك كانت حضارة وضيئة ... وهذه كانت بربرية مظلمة .
اذكر يا ولدي ولا تنس الحكمة العربية : « العرق دساس » .

٨٤

عرفت يا « خالد » قصة حرق المسجد الأقصى المبارك في القدس .
وقصة الطائرة التي أرغمها فدائيان فلسطينيان على الهبوط في مطار دمشق وعليها ستة ركاب يهود . وقد وصفت الولايات المتحدة الأمريكية عملية الطائرة بأنها « عملية قرصنة » .

بعد هذا الوصف السخيف أريد أن أسأل السلطات الأمريكية :

- ماذا يسمى حرق المسجد الأقصى ؟
- ماذا يسمى سلب الوطن العربي وتشريد أهله وتعريضهم للجوع

والبرد ولتقتل البطيء ؟

● ماذا يسمى حرق البيوت وتهديمها والإغارات بالطائرات على القرى الآمنة ؟

● ماذا يسمى هذا كله ؟ هل يعاقب الغاضب لحقه المعصوب ؟ وهل يمر المعتدى القاتل من غير عقاب ؟

إن القوانين والمثل العليا والمبادئ الأخلاقية والسياسية تقف في صف الفلسطينيين دفاعاً عن حرمهم المستباح . وليس لأحد أن يسألهم : لماذا خطفوا الطائرة . أية طائرة ؟ ولكن هذه القوانين والمثل والمبادئ نفسها تسأل إسرائيل وتدينها . وتسأل الولايات المتحدة وتدينها . وحيث تستباح القوانين والقواعد والمثل في الاعتداء على حقوق الناس لا يطلب من الناس أن يتمسكوا بهذه القوانين والنظم والقواعد والمثل . صدقني يا ولدي . لقد كسروا ميثاق الأمم المتحدة . وسخروا منه وأرادوا للإنسانية أن تعود إلى شريعة الغاب .

قل لي بربك يا « خالد » قل لي :

لماذا يقاس عمل المظلومين بمقياس الميثاق ولا يلزم به الظالمون المعتدون ؟

٨٥

الدنيا بخير ... مادام فيها منصفون . ومادامت فيها فئات ضئيلة تنطق بالحق وتجاهه الشر .

بعد الهجوم الذى شنه الفدائيون الفلسطينيون على إحدى طائرات شركة «العال» الإسرائيلية فى مطار زوريخ فى عام ١٩٦٨ ، كتب المؤرخ البريطانى العالمى أرنولد توينبى مقالا هاماً يدافع فيه عن عمليات الفدائيين الفلسطينيين عبر السنوات الطويلة (١٩١٧ - ١٩٦٧) .

ويقول بصراحة إن العالم أعار الفلسطينيين واللاجئين . على ضخامة عددهم . أذناً صماء . وقد تجاهل قضية الفلسطينيين . وتغاضى عن المظالم التى لحقت بهم . ولم يكن عندهم من حول ولا قوة ولا نفوذ معين أو تأثير خاص . فكان عليهم أن يدفعوا حساب المظالم التى ارتكبتها الغربيون لا العرب بحق اليهود . أيمكن أن يستسلم إنسان بoudاعة إلى الظلم والإهمال واللامبالاة ؟

للعربى للفلسطينى قضية عادلة منذ نصف قرن واللامبالاة العالمية تحيط بمظالمه .

إن الفلسطينيين الآن فى نطاق توضيحيتهم بنفوسهم يخطون الأعمدة كما فعل شمشون لإسقاط السقف على رؤوس أعدائهم الإسرائيليين ولا يبالون إن تساقط البناء على بقية الجنس البشرى .

فماذا يهم العرب في الفلسطيني مادامت إسرائيل لم تبق نه شيئاً ؟
وماذا فعل الآخرون لنا لينقوا من العرب الفلسطينيين أى اعتبار ؟
هذا هو - الخلل - الذى بقوة يهز القمداثيون الفلسطينيون عمدة الهيكل !
إن القوة بأيديهم لاستفزاز إسرائيل وحملها على اتخاذ الإجراءات
الانتقامية التى من شأنها أن تزيد غضب الحرب استعماراً بين إسرائيل
والدول العربية . ومن المحتمل فى هذه المدة أن تشتعل نيران الآتون المحرقة
فى كثير من البلاد : ومن المحتمل أن تجبر دول كثيرة إلى الحرب
الثالثة جراً دون إرادة أو رغبة . وستكون الحرب الثالثة حرباً نووية :
لا شك فى ذلك . وسيكون تدمير إسرائيل ثمناً لتقديم الفلسطينيين العرب
قرباناً وضحية على مذبح الشهوات العنصرية . وقد تنهى القضية كلها
فى القضاء على البشرية نفسها .

هذا هو التهديد الذى يحرك العالم ويحثه على النظر فى مظالم الشعب
العربى الفلسطينى .

« إن الشاة أمام جزارها لم تعد بكماء ! »
وهذا الانعكاس على المأساة الفلسطينية من شأنه أن يؤدى إلى انعكاس
على العالم كله .

نشرت الصحف صورة لشبان وشابات فيتناميين فى وقفة صامته
خاشعة . كانوا يصفون لشاب أخذ يتلو عليهم وصية زعيمهم الراحل

هوشى منه . هذا الزعيم الذى أفنى شبابه وكهولته وشيخوخته فى الكفاح من أجل وطنهم . من أجلهم . من أجل الأجيال القادمة بعدهم . سمعوا وصية الزعيم الراحل فى صمت بالغ ، وخشوع . وقد دعاهم إلى :

● الحرب حتى يخرج آخر جندي أمريكي .

● الحرب حتى يتم توحيد فيتنام شمالها وجنوبها .

وعندما فرغ الشاب من قراءة الوصية . حمل الشبان والشابات بنادقهم وساروا ...

على مثل هذا الأساس تقوم الزعامات العظيمة يا « خالد » .

٨٧

قال السير سيريل هانت . وهو أستاذ شرف فى كلية علم النفس فى جامعة لندن ، بعد أن أشرف على تصحيح أوراق الامتحانات العامة سنة ١٩٦٩ . وقارنها بأوراق الامتحانات العامة التى أشرف عليها سنة ١٩١٤ . إن الطلاب قبل ٥٢ سنة كانوا يقرءون ويستمعون ويفهمون ويقومون بعمليات حسابية أحسن من طلاب اليوم .

وقال السير سيريل إن الاستخدام المغلوط لأساليب التعليم « التقديمية » هو السبب فى هذا التقهقر .

قد نشجب هذا رأى يا « خالد » وتقول إن مستوى التعليم فى

عصرنا أعلى منه في عصرنا ... وإن الكيمياء والفيزياء والعلوم التكنية متشعبة الموضوعات في عصرنا .

ربما يكون رأيك هذا صحيحاً ولكن صدقني يا ولدي :

● أننا كنا جادين في دراستنا .

● وأننا لم نعرف في عصرنا العبث واللهو . لأننا لم نكن عبيداً للسينما والتلفاز .

● وأننا كنا نقدر قيمة الوقت ولا نضيعه هدرًا .

٨٨

أشارت الصحف ووكالات الأنباء إلى أكبر مظاهرة عرفتها الولايات المتحدة . وقالت إن هذه الحركة تشكل ردًا دراماتيكيًا على الرئيس نيكسون الذي سبق أن دعا إلى التوقف عن النقد العلني لمعالجة الحرب في فيتنام الشمالية .

لقد طلب منظمو الاحتجاج من الأمريكيين التوقف عن أعمالهم العادية والانضمام إلى مسيرات وحركات اعتصام وأشكال أخرى من الاحتجاج ضد الحرب .

وستتوقف كليًا الحياة الأكاديمية في عدد كبير من الجامعات الأمريكية عندما يقاطع الطلاب جامعاتهم ليوم واحد احتجاجاً على الحرب في فيتنام . وفي أماكن أخرى سيضع المحتجون شارات سوداً على سواعدهم

الذى ذهبا بهم إلى أعماهم .

وسينضم جون ليرد نجل مائدين ليرد وزير الدفاع الأمريكى وهو طالب فى التاسعة عشرة من عمره - إلى صفوف المحتجين . وقد أعلن أنه سيشترك فى مسيرة تنطلق من جامعة وسكونسن .

وقفت أمام هذه الأنباء بدهشة وذهول ... وقلت فى نفسى : إسرائيل تمثل كل يوم بالعشرات من العرب . وتنسف بيوتهم . وتستبيح حرمانهم . وتدنك مقدساتهم . وتعتمد بالمتفجرات على المسجد الأقصى المبارك ... فلا يحرك مواطن أمريكى ساكناً . ولا يحتج على حكومته التى تزود إسرائيل بـ « الفانتوم » و « سكاي هوك » و « النابالم » وتسمح للجنود الأمريكين بالانخراط فى الجيش الإسرائيلى . كان حرياً بأولئك الأساتذة والطلاب الأمريكين أن يقوموا بمظاهرة انتصاراً للعدالة وكرامة الإنسان .

٨٩

أمس احتفلت هيئة الأمم المتحدة بعيدها الرابع والعشرين ... وكأنى بهذه المنظمة الدولية قد تناست سماحها للقوى بأن يأكل الضعيف وللغنى بأن يسرق الفقير ... وتناست كذلك الولايات التى صبت بها الدول القوية منها على عرب فلسطين . توطئة لطردهم من بلادهم وتقديمها لقمة سائغة على طبق من فضة لليهودى التائه .

فى سنة ١٩٢٠ نشر جدك السياسى الشاعر المرحوم بولس شحادة

صاحب جريدة «مرآة الشرق» مقالاً في مجلة «هلال» تناول فيه «عصبة الأمم» وختمه بالفقرة التالية :

«للساسة كلمات منمقة يخدرون بها أعصاب شعوبهم ... وليست «عصبة الأمم» إلا من هذه الكلمات الحديدية التي تتخدر بها أعصاب الناس . إنى أن يرى ساسة المطامع ألا فائدة منها فيفتشون في حقائبهم ... ويقلبون دفاترهم ... لعلهم يجدون «ألفاظاً» أخرى يخدرون بها الأمة . ويحملونها على خوض المعامع . وهم لا يعدمون مثل هذه الألفاظ المنمقة الخلابية ... كلما احتاجوا إليها ...

ألا إنها الأيام أبناء واحد وهنئى الليالى كلها أخوات !

٩٠

مرة واحدة بكى ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الأسبق .

بكى عندما وقف في مجلس العموم البريطاني في أوائل مايو ١٩٤١ .

و كانت الحرب العالمية الثانية في أوجها . وقال :

« لقد انقضى عام كامل . منذ أن وقف كل الرجال . على

مختلف نزعاتهم وميولهم . صففاً واحداً لخوض غمار هذه الحرب حتى

النهاية . وعندما أعود بذاكرتى إلى المخاطر التي اجتازتها بلادنا . وإلى

الأمواج العاتية التي مرت عبرها سفينتنا : أشعر بأننا لسنا في حاجة

إلى الخوف » .

فلتعصف الرياح . ولتشتد الأمواج . فنحن واصلون إلى شاطئ
السلامة . وفي ظرفنا القاهر الذى نعيشه ينشد الفدائي نفسه قول نعيمه :

سقف	بيتى	حديد	ركن	بيتى	حجر
فاعصنى	يا	رياح	وانتخب	يا	شجر
واسبحى	يا	غيوم	واهطلى	يا	مطر
واقصنى	يا	رعود	لست	أخشى	خطر
سقف	بيتى	حديد	ركن	بيتى	حجر!

٩١

من مفارقات السياسة لا بل من « قرفها » أن تمنع السلطات الأمريكية
الطالب الباكستانى طارق على — الذى وصفته الصحف البريطانية
بأنه أحد زعماء الطلبة فى بريطانيا — من زيارة الولايات المتحدة وإلغاء
خطبة عن النضال الفلسطينى فى ديترويت . والحجة التى استندت إليها
السلطات الأمريكية فى هذا المنع أن « طارقاً » شخص غير مرغوب فيه
لأنه « أحرق » العلم الأمريكى فى ميدان جورسفنور فى بريطانيا .
لقد منعوا « طارقاً » من دخول بلادهم بدعوى حرق « علم »
الولايات المتحدة ... فى حين يعرف العالم كله أن الولايات المتحدة
زعيمة الديمقراطية « حرقت » مئات الرجال والنساء والأطفال فى
فيتنام !

أمس عدت من زيارة مدينة « إربد » وعند وصولي إلى مخيم « البقعة » شاهدت أطفالا يلوحون بمدافع رشاشة صغيرة وهم يهاجمون ثلة من الرمل وأكياسا من التراب .

ليس الأمر لعبة صبيانية يا « خالد » إن هؤلاء الأطفال الذين غاصوا في الغم إلى شحمة الأذن ... هم أشبال اللاجئين الفلسطينيين ، وسيصبحون فدائيين في القريب العاجل . سينضمون إلى إخوانهم الكبار في القتال من أجل استرداد فلسطين الغالية .

كنت قبل حركة الفدائيين أشك في عودة فلسطين عربية . لكني بعد أن شاهدت هؤلاء الأشبال ببزاتهم العسكرية ومدافعهم الرشاشة بتّ أومن بأن الحق العربي لن يضيع مادامت مخيمات اللاجئين تنبع بمثل هؤلاء الأشبال الذين هم أمل العرب وعدتهم في المستقبل .

ما أجمل ماقرأت في الصفحة الأولى من جريدة « الأنوار » تصريحاً

للشيخ بيار الحميل قال فيه :

« إننا نضع العمل الفدائي الصرف في مرتبة التقديس . لأننا نؤمن

بأن القضية الفلسطينية هي قضية حق وعدل . ونعلن للمرة الألف أننا نعدّ كل فلسطيني شرد عن أرضه ولا يتحول إلى فدائي مصاباً بنقص

في وطنيته . ونستغرب كيف أن العمل الفدائي لم يقر منذ سنة ١٩٤٨ حين شرد الشعب الفلسطيني وانتزعت أرضه !

٩٣

طالعني صحف هذا الصباح نبأ طريف خلاصته أن الكثيرين من الناس يعتقدون أن أفضل . « برلمان » عرفه تاريخ العالم هو المجلس التشريعي في لو كرى الدولة الإغريقية التي انقرضت منذ ألفي سنة ونصف .

كان القانون الإغريقي يطلب من أي عضو في المجلس التشريعي أن يلف حبلا حول عنقه وهو يقدم أي اقتراح جديد . فإذا لم يقر اقتراحه شنق بالحبل نفسه !

قابات هذا الحل ببسمة الرضى والتحييد . وقلت في نفسي . حبذا لو طبق هذا المبدأ على العشرات من محترفي السياسة بيننا ، الذين يرتجلون آراء ومقترحات تضر بالقضايا العربية ... والارتجال حرفة استساغها العشرات من ساسة المحترفين .

ضيف الأردن اليوم هو السيد أنصوني ناتنغ وزير الدولة البريطاني السابق للشؤون الخارجية . وكان في طريقه لزيارة الأراضي العربية المحتلة . التي كان مقرراً أن يزورها . لكن السلطات الإسرائيلية منعت من ذلك . وحجتها في هذا المنع أنه جاء نتيجة للمخاطب الذي ألقاه ناتنغ في بيروت قبل قدومه إلى الأردن . وقد وصف فيه «الصفحة الغربية» المحتلة بـ «السجن الكبير» . ولما أعرب عنه من تمنيات في أن تصبح «فلسطين» حرة عربية في يوم ما .

من حق أن أتساءل يا «خالد» .

● أين حرية الرأي التي يتشدد بها سادة إسرائيل ؟

● أين حرمة الحوار المفتوح . في البلد المغضوح ؟

إن كل ما يتناهى إلينا من شعارات وادعاءات تطلقها إسرائيل

هراء في هراء .

صدقني يا ولدي أن الحق للسيف مهما تقلبت الأحداث . وتعاقت

الحضارات و كثرت الشعارات .

لقد كان هذا النبيل البريطاني عظيماً في عيني عندما سمعته البارحة

يقول في مجمع النقابات بعمان :

«أمريكا وبريطانيا مسئولتان عن خلق إسرائيل . وبريطانيا بالتحديد

تتحمل المسؤولية كاملة في الظلم الذي لحق بالشعب الفلسطيني وما يزال .
ولقد ازداد إكباري له عندما قال بلا مواربة ولا التواء :
« أنا فلسطيني . إن الإسرائيليين منعوني من دخول الضفة الغربية ...
وبهذا سجلت في قائمة " المبعدين " دون إدانة ولا محاكمة . لذلك
لن أتمكن من الاجتماع بأصدقائي هناك . وأنا من هنا أقول لهم :
ابقوا في بلادكم حتى ساعة التحرير » .

٩٥

في الحفلة التي أقامتها المنظمات العربية في عمان على شرف السيد
ناتنغ الوزير البريطاني السابق ، سأل أحد الصحفيين الأجانب :
١ - مادام الغزو الصهيوني يشكل خطراً مشتركاً على الأقطار
العربية . فلماذا لا تتوحد هذه الأقطار في وجهه ؟
٢ - مادامت المنظمات الفدائية تستهدف غاية واحدة . وتعرض
لحالات مشتركة من الخطر . فلماذا لا تندمج هذه المنظمات في
منظمة واحدة ؟ .

سؤالان جديران بالتفكير السليم . لكنني لم أستطع الإجابة عنهما .
ولعلك وجيالك الصاعد تصنعان المعجزة باستئصال جرثومة التفرقة
من الدماء التي تجري في عروقكم . بعد أن عجز جيلنا عن استئصالها .

أمس امتنعت أمريكا عن التصويت على قرار اللجنة الاجتماعية للأمم المتحدة الذي يندد بإسرائيل لاستخدامها العقوبات الجماعية في الأراضي العربية المتحدة .

اليوم شجبت الولايات المتحدة السياسة التي جنحت إليها إسرائيل في الوطن المحتل . وعند ما سئل الناطق بلسان وزارة الخارجية عن تدمير المنازل العربية في الأراضي المحتلة كإجراء انتقامي ضد عدم تعاون السكان العرب مع قوى الأمن الإسرائيلية كان رده :

« لقد حثت مندوبتنا في بيانها أمام اللجنة الاجتماعية الدولية على تطبيق ميثاق جنيف الرابع الذي يمنع بصورة معينة العقوبات الجماعية » .
ولما سئل الناطق :

« لماذا امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت على قرار اللجنة الاجتماعية للأمم المتحدة الذي يندد بإسرائيل لاستخدامها العقوبات الجماعية في الأراضي العربية المحتلة ؟ »
أجاب :

« إن الحكومة الأمريكية تشعر بأن قرار الشجب ذلك لم يأخذ الوضع العام في الشرق الأوسط بعين الاعتبار ... لقد شجب القرار جزءاً واحداً من الوضع هناك ... وقد شعرنا بأن القرار ضيق جداً » .

أقرأت يا خالد بين المسطور صفاقة الوجه كيف تكون ؟
 أقرأت أن خوف الولايات المتحدة من الصهيونية العالمية هو الذى
 منعها من تأييد هذا القرار ودعمه ؟
 لاخير فى دولة تزعم أنها ديمقراطية ... عادلة ... محبة للسلام ...
 وهى خصم للسلام ... والحرية ... والعدالة .

٩٧

لم يضعف إيمانى يوماً بالعربى وطيب عنصره وإقباله على البذل والفداء .
 اسمع يا « خالد » هذه القصة الطريفة التى مازال بطلها العربى الفلسطينى
 حيّاً فى أبى ظبي .

تلقى السيد ياسر عرفات « أبوعمار » رئيس منظمة التحرير الفلسطينية
 رسالة مؤثرة من عامل فلسطينى يقول فيها :

« هذه هى فدية ولدى الوحيد : ٢٥٠٠ دولار أرسلها لكم دعماً
 لكفاح الثورة الفلسطينية » .

وقصة هذا العامل . واسمه محمد خميس فريج ، ويعمل فى جمارك
 أبى ظبي . تلخص فى أن ولده الوحيد « رامى » وعمره سنتان . قتل
 فى حادث سيارة . وتسلم ٢٥٠٠ دولار فدية عن فقدته . فأرسل « شيكاً »
 بالمبلغ إلى « أبى عمار » قائلاً له : « كنت أتمنى أن يعيش ولدى ويحمل
 رشاشاً وأراه متجهاً إلى تحرير وطنه بين صفوف أشبال وأبطال ثورتنا .

لكن المقادير شاءت أن تحرمنى هذه الأمنية . فأمرى إلى الله .
 وإبنى لأرسل لكم فدية ولدى من أجل دعم كفاح الثورة حتى
 يتحرر وطنى . . .
 لا تزال هذه الأمة فى خير مادام فيها أمثال هذا المواطن المثالى .
 ولا أزال مؤمناً بحيوتها وتضحياتها وبذلها .

٩٨

العمل الفدائى حركة مباركة يقدسها كل عربى . ويفتديها
 بكل غال ورخيص . لكن المنغصات فى هذه الحركة تشعب المنظمات
 الفدائية وانقسامها إلى شيع وفئات . . . متناسية أن جهادها واحد .
 وفى سبيل قضية واحدة . هى قضية فلسطين .
 بعد الحرب العالمية الأولى زار السياسى اليونانى العجوز « فنزيلوس »
 الولايات المتحدة . فخفت الجالية اليونانية لاستقباله على الرغم من
 انقسامها بين الملك قسطنطين وفنزيلوس الذى كان بذاته حزباً قوياً ضد
 الملك فى بلاده .

وبعد وصول « فنزيلوس » إلى نيويورك استقبلته الجالية اليونانية
 — على اختلاف ميولها — فى إحدى القاعات الكبرى . وكان أحد الزعماء
 يقدم الحضور إلى السياسى العجوز فرداً فرداً قائلاً :
 « هذا من حزب فنزيلوس . وهذا من حزب الملك » .

ولما انتهى دور التعريف . وأخذ الحاضرون مقاعدهم . بقي فنزيلوس واقفاً حتى هدأ المكان من الضجيج . وعندئذ خاطب القوم بعبارة لا تزال خالدة على مر السنوات وهي :

« أيها السادة . سرني تعرفني عليكم جميعاً . لكنني لم أسر لأني عرفتكم الآن بين حزبين ... الواحد للملك والآخر لفنزيلوس . أليس عندكم حزب للأمة اليونانية ؟ » .

وفي أوائل عام ١٩٧٠ زار جورج براون نائب رئيس حزب العمال البريطاني ووزير الخارجية الأسبق . الشرق الأوسط . وردد في القاهرة هذه العبارة غير مرة :

« لست في جانب العرب ولا في جانب إسرائيل ... إنما أقف مع بريطانيا . مع مصالحها . أرجو أن تنظروا إلى مهمتي في الشرق الأوسط على هذا الأساس » .

كل ما أرجوه يا « خالد » أن يجنب الله الفدائيين الانقسام . ويحملهم على وحدة الصف . لأن الهدف واحد هو « فلسطين » الواحدة . . . لا « فلسطينات » .

بالأمس توفي براتراند واسل الفيلسوف البريطاني داعية السلام وصاحب المواقف الفريدة . عن ٩٧ عاماً . بعد حياة وفقها لخدمة الإنسانية والسلام والمساواة بين الأجناس .

وأخر رسالة خطتها هذا المفكر البريطاني الرسالة المؤرخة في ٣١ من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٠ . ووجهها إلى المؤتمر الدولي البرلماني المنعقد في القاهرة في ٢/٢/١٩٧٠ وقد استهلها بقوله :

« إن المرحلة الأخيرة من الحرب غير المعلنة في الشرق الأوسط ترتكز على خطر عميق في التقدير . وإن الغارات التي تستهدف عمق الأراضي المصرية لن تحمل السكان المدنيين على الاستسلام . بل ستدعم تصحيحهم على المقاومة . فهذا هو الدرس المستفاد من كل الغارات الجوية » .

وأضاف راسل قوله :

« إن تطور أزمة الشرق الأوسط يعتبر أمراً خطيراً . فقد توسعت إسرائيل معتمدة على السلاح طيلة فترة تزيد على عشرين عاماً . وبعد كل مرحلة من مراحل هذا التوسع كانت إسرائيل تقترح المفاوضات متمشية في هذا مع الدور التقليدي الذي تمارسه الدول الإمبريالية ، لأنها تريد أن تدعم ما سبق أن أخذته بالعنف من قبل » .

أن تعيش في التخلف حين تصبح للاحتياجات العسكرية الأسبقية
على احتياجات التنمية القومية فيها .

وقال راسل في ختام رسالته :

« إن أول خطوة نحو تسوية الأزمة في الشرق الأوسط يجب أن تعتمد
على انسحاب إسرائيل من الأراضي التي احتلتها في ٥ من حزيران (يونية)
١٩٦٧ . ونحن في حاجة ماسة إلى حملة عالمية جديدة حتى تتحقق
العدالة لشعوب الشرق الأوسط التي عانت الظلم طويلا . »

لقد خسر المفكرون في العالم . بل الإنسانية كلها . بوفاة الفيلسوف
برتراند راسل الذي وهب حياته للسلام . وكانت وفاة هذا المفكر
آخر خسارة لحقت بالفكر الإنساني كله . وبالعقل الإنساني .
وبالمثل العليا للإنسان أينما كان .

١٠٠

الحاتمة التي أرادها الفيلسوف البريطاني برتراند راسل قبل وفاته
هي الحاتمة التي أريدها يا « خالد » بعد وفاتي مع فارق في المراسم .

قدمت جثة راسل طعمة للنيران في محرقة صغيرة للموتى في مدينة
كولوين بمقاطعة ويلز . ولم يسبق حرق الجثمان أية صلاة أو تشييع
أو أي إجراء من أي نوع كان .

و لم يؤبئه أحد بكلمة .

واستطرد راسل قائلاً :

« إن العدوان الذى ارتكبته إسرائيل يجب أن يدان من حيث إنه لا يحق لأى دولة أن تحتل أرضاً أجنبية . ولأن هذا العدوان يكشف إلى أى مدى يمكن للعالم أن يتصدى للعدوان . »

وقال راسل :

« إن كثيراً من اللاجئين الفلسطينيين يعانون الآن وضعاً غير مستقر . وإن مأساة شعب فلسطين تتمثل فى أن دولة أجنبية قد أعطت شعباً غريباً وطن شعب آخر . من أجل خلق دولة جديدة . وترتب على ذلك أن أصبح مئات الألوف من العرب بلا مأوى . »

وتساءل راسل فى رسالته قائلاً :

« إلى متى سيظل العالم مستعداً لتحمل ذلك الشر البالغ الوحشية الذى سلب اللاجئين الفلسطينيين جميع حقوقهم المشروعة فى وطنهم . وإن إنكار هذه الحقوق لا يعنى سوى استمرار النزاع . »

وقال راسل :

« كثيراً ما يقال إننا يجب أن نتعاطف مع إسرائيل بسبب ما عاناه اليهود فى أوروبا على أيدى النازيين ، ولكنى لا أرى فى ذلك سبباً يدعو إلى استمرار المأساة التى يعيشها الشعب الفلسطينى . »

« وإن ما تقوم به إسرائيل اليوم لا يمكن أن يغتفر ، فإنها لا تحكم بالبؤس فمحسب على عدد كبير من اللاجئين بل تخضع العرب فى الأرضين المحتلة للحكم العسكرى . وتحكم على الدول العربية المجاورة

و لم تعزف أى موسيقى أو تصعد أية صلوات .

ولم يشيعه إلى المحرقة سوى خمسة ألقوا النظرة الأخيرة على جثمانه هم :
زوجته وابنه . وزوجة ابنه وسكرتيره الخاص ومدير مؤسسة راسل للسلام .
أما أنا فأوصيك بمايلى :

- ينقل جثمانى من مكان وفاتى إلى المقبرة .
 - يحمل جثمانى أفراد أسرّى وإخوانى إلى المشرى الأخير .
 - يوارى جثمانى فى التراب بلا جلبة ولا ضوضاء ولا صلوات .
- وسلفاً أقول للذين يقرءون كلماتى هذه قبل وفاتى وبعدها إننى
لست ملحداً ... فأنا أومن بالله خالق السماء والأرض . ولكنى لا أقيم
وزناً للطقوس الدينية . إذ أنها من مخلفات الوثنية .
- لعلى أكون أول عربى يدعو إلى مثل هذه « البساطة » التى قد
يستنكرها المجتمع العربى ويستهجنها أقاربى .
- أوصيك يا ولدى بتنفيذ ما قرأت سابقاً . وأسألك أن تضع يدك
على المحراث ولا تلتفت إلى الوراء .
- فأبوك المؤمن بالله عرف الحياة على حقيقتها !